روايات رومانسية عالمية

عبير

اليزابيث آشتون

النجمة والجليد



مكتبة زهران

اليزابيث آشتون
النجمة والجليد
مكتبة زهران

روايات رومانسية عالمية
عبير
النجمة والجليد

حب

الامتلاك شعور غريزي يسيطر على

الانسان فيعيش حياته ساعياً وراء تحقيقه . سيلفي الن

فتاة صغيرة حلمها ان تصبح راقصة باليه عالية مثل امها . ولكنها

فقيرة ، معدمة لا تملك اجر الدروس . ووالدها بدد ثروته في الميسر

مهووسة رقص . لم تتورع عن الرقص في حديقة احد القصور حين سمعت لحن

بحيرة البجع وبينما هي تتمايل مسحورة راها من النافذة انطوان دي ميريكور صاحب

فرقة الباليه العالمية كوسموبوليت فأعجب بموهبتها وقال : هذه نجمتي الجديدة

وحين وقفت سيلفي امامه بثيابها الرثة وشعرها القصير بدت كصبي متشرد . لكن انطوان

دي ميريكور مكتشف النجوم ، مسح غبارها ، واضاف اليها بريقاً اخاذاً . فتعهدها ورعاها

وعلمها وهذب طباعها مشترطاً عليها عدم الوقوع في الحب ، وعدم الزواج خوفاً من يوم

يأتي فتترك عالم الباليه وتهجر المجد والشهرة رغبة في الزواج والأمومة كما فعلت

امها . يعجب بها الكثيرون لكنها ترفضهم ... لماذا؟ هل تحجر قلبها ؟ لا . هل

هي خائفة من ردة فعل معلمها ومكتشفها ؟ لا . اذن ، هل هي عاشقة ؟

نعم ، مغرمة بأنطوان دي ميريكور ، وحبها له بلا امل . لأنه

يعتبر الزواج نهاية الفن . ماذا تفعل سيلفي

لترضي قلبها وفنها معاً ؟

مكتبة زهران
جمهورية مصر العربية
١٥ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر
ت : ٥٩١٢٩٥٥ - موبايل : ٠١٢٢٧٨٦٤١٨

اليزابيث آشتون

النجمة والجليد

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية
ERRANT BRIDE

مكتبة زهران
جمهورية مصر العربية
١٥ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر
ت : ٥١٤٢٩٥٥ - موبايل : ٠١٢٣٢٧٨٦٤١٨

١ـ خطوات البجع

سطع ضوء القمر تلك الليلة عوّلا عشب الحديقة الى بحيرة فضّية . . . وموسيقى تشايكوفسكي المتسرّبة من نوافذ الفيللا المشرّعة، تملأ الليل بالنغم. دفعت الفتاة الباب الحديدي المؤدي الى الحديقة، فوجدته مفتوحاً وتقدّمت مأخوذة بسحر الايقاع وجمال المرج المنبسط أمامها.

كان المكان خالياً . . . بدأت ترقص غائبة في عالم سحري، الحديقة تحولت الى ضفاف بحيرة فتّانة، وأصبحت أغصان السرو تخفي أشباحاً مخيفة، لكن الأمير سيغفريد سيحّررها من قبضة السحرة.

كانت مرتدية بنطلوناً قصيراً، والنور الخافت يلوّن ساقيها المشوقتين بلون العاج . . . مخلوقة آتية من عالم الجن . . .

هكذا تخيّلها الرجل الواقف في الشرفة المطلّة على الحديقة، ذات يوم حدث له ان شاهد فتاة ترقص في غاية الرقة مستسلمة لسحر الموسيقى لكنه لم يعثر على مثيل لها منذ عشرين سنة . . . وها هو الآن مسّمر في مكانه، منتقل الى دنيا الاحلام، والفتاة تواصل رقصها مستغرقة في عالمها الخيالي.

غريبان . . . غريبان يعيشان احساساً مشتركاً يشفي عطش حنينهما للابداع الفني. صوت خشن، واذ بالسحر يتحطّم، صوت ناطور الفيللا . . . وقفت الفتاة على قدم نحيلة ملقية برأسها الى الوراء وذراعاها ممدودتان مثل جناحي عصفور، سحرها وسرعة اختفائها دفعا مراقب الشرفة الى همس كلمة: جيزيل

توجّه العجوز نحو الباب مخرجاً مفاتيحه عندما أوقفه صوت جاف:

«من تكون تلك الفتاة؟».

رفع العجوز رأسه فرأى وجهاً بملامح نبيلة وسارع للاعتذار:

«أنها ابنة الشيطان، تقدمي في السن منعني من اللحاق بها لمعاقبتها، لكنها أسرع من الزئبق».

«هذا صحيح... انها الزئبق نفسه وسحرها ملائكي، ألا تدري من تكون، ومن أين أتت؟».

حكّ الناطور رأسه مفكراً، انها مجرد طفلة مشاغبة مثل أبيها، الانكليزي الأصل حسب اعتقاده، يسكنان في منزل بيار بوارو قرب منزله، وغالباً ما يشاهد الأب ذاهباً الى الكازينو ليبدّد أمواله. لكن الاسم؟ آه، انه سمعه من قبل، فرانسيس آلن.

تنهّد الرجل مقطباً حاجبيه، فرانسيس آلن بعد كل هذا الوقت! الرجل الذي يثير حقده منذ سنين... انه الشخص نفسه بالتأكيد، ابنة ميتيلا وحدها ترقص رقصاً ملائكياً، ساحراً، ذلك السحر الذي جعل ميتيلا فريدة من نوعها، وهو يجهل بأنّ لديها ابنة.

دارت الدواليب على مدارها، همس هذه الكلمات والعجوز ينظر اليه بدهشة، ثم توجه نحو الكازينو بعد ان أعطى العجوز خمسين فرنكاً.

كانت الساعة متأخرة في الليل وسيلفي آلن مستلقية على السرير في الغرفة التي تقيم فيها مع والدها تنتظر عودته بقلق... لم تخلع ملابسها بعد، اذا استطعنا تسمية بنطلونها القصير وقميصها ملابس. لقد نسيت الآن الفاصل الموسيقي في الحديقة. كانت تمر بالقرب من الفيلا عندما سمعت النغم المألوف: بحيرة البجع فدخلت الحديقة مأخوذة كالعادة بسحر الايقاع وراحت ترقص، والرقص جزء من حياتها... اعتقدت أن المكان خال حتى جاء الناطور...

جاءت عائلة آلن الى مونتي كارلو بسبب وجود فرقة باليه كوسموبوليت في البلدة، وكان الأب وابنته يأملان بالحصول على مقابلة مع مديرها. لكن الأمر بدا مستحيلاً، اعتقدا أنّ مجرد اسم والدتها، التي كانت راقصة معروفة في زمانها، سيفتح الأبواب أمامها، لكن شهرة الوالدة ذهبت مع الريح بمرور الزمن. كذلك بالنسبة الى السيدة لينسكا التي كانت ايضاً نجمة رقص كبيرة، ودربت سيلفي لسنوات في قريتهم.

مسكينة السيدة لينسكا، كانت تعيش في الاحلام، وخططت لسيلفي مستقبلا زاهراً في باريس تحت رعاية أصدقائها في ذلك الحين، مقنعة الفتاة بموهبتها الفريدة والشهرة التي ستحققها من الباليه. لكن وللأسف، توفيت قبل جني ثمرة أتعابها، ومنذ ذلك الحين وسيلفي تكتشف بمرارة صعوبة تحقيق أحلامها. كان فرانسيس في الكازينو بحجة مقابلة مدير الفرقة هناك، لكنها شكّكت في صحة الأمر، فهي تعرف حق المعرفة تعلّق والدها بالقمار وتعرف أنه سيبدد كل ما لديهما من مال.

تنهدت ناهضة من السرير، واتجهت نحو حقيبتها الصغيرة مخرجة صورة تحتفظ بها دائماً، صورة والدتها في دور «جيزيل». استغرقت في تأمل الصورة المألوفة والوجه الذي يشبه وجهها، جبهة عريضة، شعر أسود ناعم مضموم وراء العنق بينما تبدو سيلفي بشعرها القصير، بشكل صبياني.

كان لها من العمر عشر سنوات عندما توفيت والدتها، وكل ما تبقى في ذاكرتها هو صورة امرأة نحيلة القامة ذات جاذبية خارقة. كانت ميتيلا تشكو من ضعف في القلب، السبب الذي اوقفها عن الرقص. سافرت العائلة الى جنوب فرنسا بحثاً عن الطقس الملائم لصحة الوالدة، وابتعاداً عن المشاكل التي كان يواجهها فرانسيس في انكلترا... حصل على إرث صغير من والدته ما كان يكفيه مع عائلته بسبب ولعه بالقمار. كانت السيدة لينسكا تعيش في القرية نفسها مواصلة تدريب سيلفي على الرقص، وصممت السيدة آلن دفع ابنتها لمتابعة المهنة التي اوقفتها هي في سن مبكر.

ذكريات قبل مجيء العائلة الى الجنوب الفرنسي، ذكريات غامضة وحزينة، هذا ما تبقى لسيلفي من اسكوتلندا، اسكوتلندا بمناخها القاسي الذي لم يرحم صحة والدتها. بالطبع، هنالك آنغوس آلن والد فرانسيس ملاك اسكوتلندي متصلّب الرأي، لم يسامح ابنه على زواجه من راقصة باليه وتعليم ابنته الرقص. كان فرانسيس مسؤ ولا عن ادارة أملاك والده، ثم وقعت الفضيحة المتعلقة باختلاس بعض الأموال، حسبما تذكر سيلفي. بالرغم من براءة فرانسيس، اتهم العجوز ابنه بالقضية وتبرأ منه، لكن الأمر لم يغظ الابن، فهو بطبيعته يميل الى حياة أقل تعقيداً ومشقة.

ثم العمة أنييس، أخت فرانسيس، امرأة قاسية ومتقشفة، لكنها كانت حيّة الضمير، تعهّدت بتأمين المأوى للطفلة، وكانت هذه الأخيرة تفضل

الموت على العيش تحت رحمة عمّتها.

اما فرانسيس، فكان يقول لها:

«رغبة عمتك بالعناية بك، تعزية كبيرة لي يا سيلفي».

رغبة لم تشكّل في عينيها اية تعزية على الاطلاق.

أفاقت من شرودها على وقع اقدام تصعد السلم، بحركة خاطفة أعادت الصورة الى الحقيبة واستدارت نحو الباب لترى فرانسيس يدخل الغرفة.

نور المصباح الكهربائي الشحيح، كشف عن رجل طويل القامة، نحيل، احتفظ بنبل في مظهره. وبدأ شعره الكستنائي بالشيب على الصدغين. عيناه مثل عيني القط، مزيج من اللون الأخضر والذهبي، وما أشبه عيني سلفي بهما! فقالت له:

«من الواضح، لم تعد بثروة».

«لا، لكني كنت سأجنيها لو امتلكت المال الكافي».

سمعت هذه الكلمات من قبل، وسألته بنبرة ساخرة:

«منجم ذهب في أميركا الجنوبية؟».

«لا... بل الثروة في البرازيل، التقيت صدفة بيدرو دا سيلفستر، كنت قد تعرّفت عليه في فرانس، انه يخطط لمشاريع كبيرة ويريدني ان أذهب معه، انوي بيع الكوخ والرحيل...».

«لا يا أبي... لا تبع بيتنا».

«انه شبه مهدّم والخراب يتآكله. في أي حال، لا تستطيع البقاء هنا، ودخلي لا يكفي المصاريف المتزايدة، لقد رهنت البيت هذه الليلة».

«ابي! أنت لن تتغيّر في حياتك». جلست قربه تبكي وتضحك في الوقت نفسه. «وماذا سيحلّ بي وأنت في البرازيل، ستأخذني معك؟».

«انها سفرة مرهقة ومغامرة قاسية في البداية، انت لا تستطيعين ترك رقصك، وعمّتك مستعدة لمساعدتك اذا دعت الحاجة».

«لا يا أبي... كل شيء الا هذا» ردّت عليه بعنف، لكنها رأت بريق عينيه فسألته بصوت مليء بالأمل:

«وأنت لست جاداً، أليس كذلك؟».

«أنا بكامل الجدية فيما يتعلّق ببيدرو، لكن لم اخبرك بعد عن السيد دي ميريكور التقيته في الكازينو، الرجل الذي حاولنا مراراً مقابلته في الماضي،

ودائماً بدون جدوى».

«أتقصد المدير يا أبي؟».

«نفسه، انسان مدهش للغاية، في لقائنا تعلّمت أشياء كثيرة عن الباليه يا عزيزتي، يريد أن يجعل من فرقة باليه كوسموبوليت فرقة عالمية ويطمح لنفسه شهرة دياغيليف».

«هل... هل تكلمت معه؟».

«لا... لم أجرؤ».

زالت اشراقة المرح عن وجهها وتنهّدت بحزن، فسدّد اليها نظرة خاطفة وأضاف:

«بالطبع، مثل أي شخص مهووس، لا بدّ ان يكون فيه طرف من الجنون، لكن هذا الامر لا يزعجك فأنت بالذات من أكبر هواة تيربسيشور، لم أكلمه، لكن هو الذي كلّمني. كان يبحث عني ويريد مقابلتك في الصباح».

«هل سيتيح لي تجربة اخيراً؟».

«أعتقد ذلك. أنا لم أذكر حتى اسم والدتك ولا السكينة ليشكا، ولسبب أجهله، اكتشف ان لديّ ابنة ترقص، فطلب مني احضارك... انه مهيب الى حد ما، واعتقد بأن الرقص أمام عينيه الناقدتين امر مزعج جداً..

تشابكت يدا سيلفي مستسلمة، وهتفت بقوة.

«لست خائفة، انه انسان مثل غيره ولا يشبه الغول أو العفريت... أنا متأكدة انه سيوظّفني في فرقته».

«لا أملك تفاؤلك يا عزيزتي، يبدو صعباً ومتطلباً».

«لا اعتقد ان شكلي سيؤثر عليه، لا املك اي زي أنيق...».

راحت تنظر باستياء الى بنطلونها القصير وساقيها المشوقتين، تابع فرانسيس اتجاه نظرها قائلاً:

«لا اوافق معك، فساقاك جميلتان، لكن بنظري سيرى فيهما الناحية المهنية فقط. ليته يوظّفك في الفرقة، فتحلّ مشاكلنا، هكذا تكسبين عيشك واستطيع اللحاق ببيدرو...».

«انه حلم يا ابي، لا يمكن تحقيقه». عاد قناع الحزن يغطي وجهها

وأردفت «آه لو كان لدي ثوب أنيق لمقابلته، ربما يكون لي حظ اكبر في الحصول على عقد عمل».

«الأمر أفضل كذلك يا سيلفي، موهبتك وحدها ستؤثر على اختياره».

سمع فرانسيس اشياء أخرى عن انطوان دي ميريكور الى جانب هوسه بالباليه... كما رأى السيدة الجميلة التي لحقت به الى الكازينو، وترقّده قبل وضع ابنته تحت رعاية رجل مثله، امر طبيعي، لكن سيلفي تختلف عن غيرها من النساء. نظرة خاطفة الى الوجه الذي ما زالت تسيطر عليه ملامح الطفولة، اقنعت فرانسيس بصواب ظنّه، فهي حتماً لن تثير اعجاب هذا الرجل المتكلّف والانيق، وسمع ايضاً ان انطوان دي ميريكور جاد في عمله وحريص على سمعة مؤسسته، ويرفض المغامرات العاطفية في اطار عمله.

أثارت كلماته غيظها، فليس هنالك امرأة، كبيرة كانت ام صغيرة في السن تقبل ان تجرّد من انوثتها، وعلّقت بنبرة جافة:

«بالطبع لديه الكثير من الصديقات...».

ضحك فرانسيس وقال:

«كان برفقة سيدة خارقة الجمال، لكن حسب الأصداء، يفرّق بين حياته العاطفية والمهنية، وهذا يسهّل الامور اذ يكون اختياره متعلقاً بموهبتك فقط».

«أمر مطمئن، لا أرغب الاّ بالرقص، والمغامرات العاطفية لا تستهويني...».

سدّد اليها نظرة دهشة، فهي تقارب الثامنة عشرة من عمرها لكنها لم تبد أي اهتمام بالحب وقصصه حتى الآن... ربّما انعزالها عن تيّار الحياة العصرية هو السبب، تذهب الى المدرسة وتعود الى البيت ومنذ وفاة والدتها، تقضي معظم وقتها مع السيدة لينسكا.

«انت مختلفة تماماً عن والدتك...».

كانت ميشيلا تكبرها بقليل عندما وقعت في حبه.

أما سيلفي، فلم تفهم الدوافع التي حملت والدتها على الزواج من فرانسيس والتخلي عن الرقص، وبالرغم من حبها الكبير له، فهو لا يستحق هذه التضحية الكبيرة... لكن ميشيلا خاطرت بمهنتها من

اجله... طافت هذه الفكرة بذهنها وقالت بصوت حالم:

«بدون شك، كانت تحبك حباً كبيراً...».

«بعد طفولة حزينة ومملّة في ستر الكلان التقيت بها وعلى الفور عرفت أنها اجمل شيء في حياتي، وجدت فيها إلهامي وسعادتي... ربما خشونة جدّك ونظرته القاسية الى الحياة، هي السبب الذي دفعني للافراط بكل ما قمت به حتى الآن... لكن والدتك علّمتني المعنى الحقيقي للحياة...» تنهد بعمق ثم أضاف: «كانت تريد ان تصبحي راقصة مثلها، وقطعت على نفسي وعداً بتحقيق رغبتها...».

«ولن اخيّب آمالك، لا بدّ من وجود فرقة باليه تقبل بي، كل ما ينبغي عليّ هو ايجادها».

في الصباح الباكر، وبقلب مفعم بالابتهاج، تبعت سيلفي والدها الى الفندق الفخم الذي يقيم فيه السيد دي ميريكور. بالرغم من ثيابه القديمة، كانت ثقة فرانسيس بنفسه كبيرة. لحقت به الى الداخل بعزم مصممة على عدم المبالاة بنظرات خادم الفندق الناقدة، وكأنه يشكك في كونها فتاة!

كانت مرتدية بنطلوناً وقميصاً نظيفين، شعرها القصير وجسمها النحيل لا يبرزان انوثتها. تجاهل فرانسيس خادم الفندق متوجهاً نحو رئيس هيئة الاستقبال.

راحت سيلفي تتأمل القاعة الفخمة المزيّنة بالازهار والاعمدة الرخامية. فهي للمرة الاولى تدخل فندق ريفيرا الفخم. يا ترى... كيف يشعر الشخص المقيم في مكان مثل هذا؟ بالتأكيد الملابس الانيقة هي شرط أساسي... نظرت باستياء الى بنطلونها ولاحظت خادم الفندق ينظر اليها وكأنها أتت لسرقة شيء ما. ابتسمت للفكرة، في أي حال، لا تسمح لها ملابسها باخفاء اي شيء، ثم سمعت والدها يقول:

«عليك بالانتظار، سوف يراك السيد دي ميريكور بعد قليل، لا اعتقد انه في غرفته الآن».

«لكن... ستبقى معي، أليس كذلك؟».

كان القلق ظاهراً في نبرات صوتها فقال لها:

«يريد مقابلتك لوحدك».

«لكنني بحاجة اليك!».

«لا يا عزيزتي، انك خبيرة بالباليه اكثر مني، آمل أن تحصلي على عرض مغرٍ».

«وأنا كذلك».

عاد الحماس ينير وجهها. انحنى فرانسيس لتقبيلها وهمس في اذنها: «سأنتظرك في المنزل، حظاً سعيداً يا صغيرتي...».

خرج بكبرياء، وتركها في القاعة الرخامية... جلست على احد المقاعد المخملية غير مبالية بالعيون المصوّبة اليها، كان الضيوف عائدين من وجبة الغداء. نساء بكامل الجمال والاناقة مررن امامها في عرض ازياء متنوعة، اما الرجال ومعظمهم كبار في السن، فاختاروا الالوان القاتمة. كان الفندق تحت رعاية الاثرياء المسنين... أما سيلفي، فلم تشعر بالارتباك والخجل من جراء نظراتهم النافذة، لأنها لم تر فيهم اشخاصاً من لحم ودم، بل صوراً في مجلة ازياء... استغرقت في أحلامها. سيلفي آلن الباليرينا الشهيرة. جميع الانظار مصوّبة عليها باعجاب، وهي تقيم في هذا المكان الفخم.

«آنسة آلن؟».

افاقت من شرودها على صوت خادم تعلو شفتيه إبتسامة وقحة.

«نعم».

نظرت اليه بازدراء ملقية برأسها الى الوراء، حركة أضفت عليها ملامح الكبرياء والنبل، فتحوّلت وقاحة وجرأة الخادم الى ابتسامة مهذبة، ربما هي ابنة احد الاثرياء بملابس بسيطة على سبيل التسلية والتغيير. حقاً اصبح من الصعب تمييزهن في هذه الايام...

«السيد دي ميريكور في انتظارك».

وقفت برشاقة، متقدمة ببطء وتصنّع وكأنها معتادة على الاماكن الفخمة، ولا تريد ان يكتشف الخادم انها بحاجة ملحّة الى عمل.

قادها الى الطابق الاول ثم الى القاعة الفخمة التي يقيم فيها انطوان دي ميريكور؛ غرق نعلاها المغبّران في سجادة بيضاء وراحت تتأمل أغطية المقاعد المطرّزة، ونور الشمس المتسرب من النوافذ المشرّعة يغمر زهور الميموزا التي تملأ القاعة. ربما هناك شيء يتخطى الجمال بحد ذاته.

«صباح الخير يا آنسة آلن».

نظرت الى صاحب هذا الصوت الذاتي. وقف انطوان دي ميريكور لمصافحتها. ورأت رجلاً طويل القامة بزي اسود انيق يبرز لون شعره الاشقر. وبشرته المحترقة بشمس موناكو. له انف ارستقراطي، وشفتان مرسومتان باتقان، وذقن حازمة تحمل شيئاً من العناد والكبرياء. لا يبدو فرنسياً بالرغم من اسمه. أحست منذ الوهلة الاولى بسيطرة وسلطة هذا الرجل.

«صباح الخير يا سيد».

ردّت عليه بصوت متساو رافضة الاستسلام لشعور الخجل. كان يدخّن سيكارة وعيناه مصوبتان نحوها وكأنهما تنفذان الى اعماقها.

«اذن انت الباليرينا الموهوبة!».

كان يتقن اللغة الانكليزية وتخيّلت بريقاً ساخراً مرّ في عينيه وهو ينطق هذه الكلمات فسارعت الى الرد:

«انني مبتدئة فقط. لكن هل تعتبر الطموح خطأ؟».

«لا... انك على حق، اجلسي يا ابنتي. لنتكلم عن طموحك».

جلست على طرف كرسي عال محاولة السيطرة على ارتباكها، تخيّلته سميناً وأصلع مثل كل مدراء المسارح، لكنها رأت نفسها أمام رجل ذي بنية قوية، لم تر من قبل رجلاً بمثل وسامته، واشتد اضطرابها عندما أحست بعينيه تتفحصانها بنظرة نافذة.

كان انطوان يتأمل ساقيها المشوقتين وجمال عنقها الطويل... وفكّر أنها تملك المقاييس اللازمة للراقصة.

«أنت ابنة ميلا ريفرز... تشبهينها كثيراً».

«حقاً؟» مرّ بريق من الفرح في عينيها الخضراوتين وسألته:

«هل شاهدتها ترقص؟».

«مرات عديدة...».

ارتسمت على شفتيه إبتسامة رقيقة وهتف بصوت ناعم.

«كنت مغرماً بوالدتك في طفولتي، بالرغم من صغر سني، كان تأثيرها كبيراً علي».

«قصة جميلة ومؤثرة».

ردّ على تعليقها بصوت ساخر:
«في السادسة عشرة يكون المراهق عاطفياً».
«للأسف لم تسنح لي الفرصة بمشاهدتها ولو لمرة ترقص، كنت طفلة صغيرة عندما أوقفت الرقص».
نطقت هذه الكلمات بحزن شديد.
«أمر مؤسف حقاً». واضاف بنبرة جافة «خسر العالم موهبة فريدة من نوعها».
«معك حق. ضحّت بمهنتها من أجل الحب. ولا افهم كيف تمكّنت من ذلك فبالنسبة اليّ الرقص أهم شيء...».
«ونادراً ما يكون للنساء هدف واحد في حياتهن. ونادراً ما يكنّ مخلصات ايضاً. اعتقد ان فارس احلامك يشغل قلبك، أليس كذلك؟».
«تقصد الحب؟ لا. ليس لدي الوقت لهذه الاشياء. الرقص أهم شيء في حياتي، لكن...».
تذكّرت المصاعب التي عانتها في المدة الأخيرة واضافت:
«لكن المصاريف المتزايدة لم تسهّل الامور لي ولوالدي».
كانت عيناه مركزتين على نحافة جسمها ووجهها الضعيف وقال لها بنعومة:
«ذقت طعم الحرمان!».
«لا يا سيد... لم تكن الامور سيئة الى هذا الحد، ولا يجب ان تكون الراقصة بدينة، لكن لم تتمكن من دفع اجر دروس الرقص...».
رفضت أن تبوح بحقيقة حرمانها، كانت تتغذى في المدة الأخيرة من فاكهة الحديقة، سدّدت نحوه نظرة قلقة محاولة معرفة ما يدور في ذهنه لكنه لم يبد أي انفعال على كلماتها واكتفى بعرض القهوة عليها، وبالرغم من جوعها ردت:
«شكراً، لا اريد ازعاجك».
«سيحضرها الخادم».
رفع سمّاعة الهاتف معطياً الامر بالفرنسية.
«ولكنك تمرّنت على الرقص سابقاً، من كان استاذك؟».
اخبرته عن السيدة لينسكا، ورفع انطوان حاجبيه بدهشة.

«اعرفها جيداً، تركت الرقص بسبب وعكة صحية، لكني كنت اجهل بأنها تعطي دروساً».
«اجل انه امر غريب، كنت تلميذتها الوحيدة، وانا مدينة لها كثيراً. كانت تعيش في القرية نفسها وحبّها وصداقتها لوالدتي دفعاها لاعطائي الدروس، خططت لمشاريع كثيرة لي، كانت تكلّمني عن افتتاحيات كبيرة وعن الشهرة في باريس، احلام...».
ضحك انطوان وقال:
«انها امرأة مدهشة، اعرف عن افتتاحيات ناتالي لينسكا بما فيه الكفاية، كانت تعيش في الاحلام، ونبأ وفاتها احزنني جداً، انها راقصة كبيرة».
«أكّدت لي النجاح، وكانت تقول أني سأبرع بالرقص مثل والدتي، لكن يجب ان ابتعد عن الرجال والحب، ووعدتها بالطاعة».
قاطعها انطوان دي ميريكور بجفاف:
«أرى انك لم تلتق بعد برجل احلامك...».
دخل الخادم القاعة حاملاً صينية وضعها الى جانب سيلفي، وعمّت رائحة الكعك والقهوة المكان.
«هل تسكبين فنجاناً لي أيضاً؟».
«بالطبع».
أخذت تسكب القهوة بحركات رشيقة وكأنها لم تستعمل طوال حياتها الّا الاطباق والفناجين الفضية، اخذ الفنجان من يدها لكنه رفض الكعكة.
«شكراً لقد تناولت فطاري، لكن أرجوك عدي واحدة أنت».
نظر اليها ببريق من الفرح في عينيه وهي تأكل بشهية لكنها لم ترتبك من تفحّصه وبدأ يسألها عن حياتها، اين تلقت دروسها، عن عائلتها في انكلترا، متى أتت الى فرنسا، هل تواصل تمارينها، الخ...
«كنت سابقاً اتدرّب كل يوم في المطبخ، لكن الآن اصبحت بدون استاذ لاعطائي الارشادات اللازمة، ومنذ انتقالنا الى الكوخ، توقفت تماماً بسبب صغر المساحة».
«ولكن هنالك حدائق الغير...».
نظرت اليه بدهشة:

«كيف علمت بالأمر؟».

«رأيت ملكة البجع ترقص تلك الليلة...».

«سحرت بالموسيقى ولم أتمكن من مقاومة رغبتي في الرقص، ثم كان الباب مفتوحاً».

تساءلت عن مدى تأثير رقصها عليه، اطلق عليها اسم «ملكة البجع». لكنه يداعبها رغما، تشابكت يداها والقلق يتسلل الى نبرات صوتها:

«هل اعجبك رقصي؟».

قاطعها بشدة، ورأت فيه من جديد رجل الاعمال الصارم والجاد.

«تعتقدين اني سآخذك حالاً في فرقتي؟».

عاد قناع الحزن ينتاب وجه الفتاة وابتلعت بسرعة قطعة الكعك في فمها.

«لقد تسرّعت بالآمال... لكن اتح لي فرصة واحدة... لا اعرف ماذا سيحل بي اذا لم اجد عملاً!».

«اني صعب في اختيار راقصاتي، وتدريبك سيتطلب أسابيع طويلة من الجهد الخارق، ولدي الكثير من طلبات العمل».

«حسناً، يجب ان اعود، ابي ينتظرني لتدبير بعض الامور».

نهضت من مقعدها واستطاعت ان تنطق الكلمات الاخيرة بدون اي اختلاجة في صوتها:

«اشكرك على المقابلة والقهوة، اعذرني، اخذت الكثير من وقتك».

توجهت نحو الباب بجهد كبير للاحتفاظ بهدوئها محاولة اخفاء خيبة املها، لقد تخيلت، في البداية، المقابلة ايجابية، لكن...

«انتظري».

جاء الامر بصوت جاف وقاطع وأضاف عندما رآها واقفة قرب الباب:

«اجلسي... لم انته من كلامي بعد».

عادت اشراقة الأمل تنير وجهها. هل كان هازلاً لمجرد التمتع باثارة اعصابها؟

لكنها ستغفر له اي شيء اذا اعطاها عملاً...

ساد صمت متوتر وأحست بعينيه مصوبتين عليها، ثم سألها فجأة:

«هل تعرفين الموسيقي رونيه لوكلير؟».

هزّت رأسها نافية والحيرة في عينيها.

«انك صغيرة لتذكريه، كان من أعزّ اصدقائي وتوفي في سن مبكرة، خلال مظاهرة طلابية...» مرّ في عينيه حزن سريع لطّف قسوة وجهه واستطرد:

«ألّف قطعة موسيقية لافتتاحية باليه، ورغبت دائماً في تحقيق حلمه، وها أنا اليوم في وظيفة تسمح لي بهذا، لكن الراقصة التي الهمته توفيت...».

«تقصد، امي هي الملهمة؟».

«نعم مينيلا بالذات... ألّفها خصيصاً لها، وما زلت ابحث عن الراقصة المناسبة لهذه القطعة».

انقطعت سيلفي انفاسها، هل عثر على تلك الراقصة في شخصها؟ يبدو مخلصاً لذكرى صديقه، وهو بحاجة الى شخص مثل مينيلا لرقصها، وقد قالت لها السيدة لينسكا، انها صورة حيّة لوالدتها...

نظرت الى عينيه مباشرة وادركت ان الفكرة نفسها تدور في خلده.

رأى انطوان دي ميريكور في الفتاة الجالسة أمامه موهبة كبيرة لا ينقصها الّا الانطلاق والاكتمال. وحبه للسيطرة اثار حماسه على تدريبها ليجعل منها نجمة عالمية. انها طفلة تنقصها الخبرة، وهو سعيد لتدريبها على الحياة...

اما سيلفي، فرأت فيه الفرصة المناسبة لتحقيق احلامها...

لكن انطوان دي ميريكور، يملك خبرة واسعة في الحياة، ويتحاشى القرارات والوعود السريعة، لذا قال لها بصوت فاتر:

«لست مستعدة بعد للظهور أمام الجمهور، لكني موافق على تدريبك شرط ان تستسلمي لكامل ارادتي، اقصد بذلك طاعة كاملة وثقة عمياء، وانتظر منك جهداً كبيراً».

«نعم يا سيدي، سأجتهد كثيراً والعمل لا يخيفني، واعدك بالطاعة دائماً».

«وحقاً يا سيلفي؟».

احتلت شفتيه ابتسامة ساخرة وبريق في عينيه اوقفها عن المتابعة، انها واهمة، فهي لا تثير اعجابه على الصعيد المهني، وكأنه قرأ ما يجول في فكرها، فقال لها بنبرة قاسية:

واهتمامي بك مهني فقط، انا لا أقيم علاقات عاطفية مع راقصاتي، وانتظر منهن الاخلاص الكامل لفنهن، في حال تزوجت راقصة، تطرد على الفور، فأنا متشدد في هذا المبدأ».

أعادت كلماته الاطمئنان الى قلبها، فهي لا تطمح الاّ بالاخلاص لفنها.

«هذا يناسبني، لست مثل امي، مهنتي تحتل دائماً الدرجة الاولى في حياتي».

«جميعهن يؤكدن ذلك في البداية، لكن لسوء الحظ، يكبرن ويتفتّح قلبهن على الحب و. . .».

فتح الباب بعنف ودخلت امرأة القاعة، كانت ساحرة الجمال وشاهدت سيلفي صورها من قبل، انها جيانيتا الباتيزي الباليرينا الاولى في فرقة كوسموبوليت.

كان غضبها واضحاً وعيناها السوداوان تقذفان شهباً من النار مرتجفة من شدة الغيظ، وراحت تخاطب انطوان دي ميريكور بالايطالية وعندما توقفت لاستعادة انفاسها قال لها ببرودته المألوفة:

«تكلمي بالانكليزية ارجوك. . . فايطاليتك قبيحة، ثم من سمح لك بالدخول بدون سابق انذار؟».

«لم يجرؤ احد على منعي».

أجابته بالانكليزية هذه المرة وكانت تتقنها الى آخر حد، وعاد غضبها الى الغليان من جديد:

«ماذا دهاك؟ أريد ان اعرف السبب. . . هذا حقي. . . . .».

كانت تمسك بورقة في يدها، فرمتها بوجه انطوان.

«انت لست جاداً. . . واذا كان مجرد مزاح فهو خال من الذوق. . . .».

«أنا بمنتهى الجدية» وانحنى ليلم الرسالة، مضيفاً:

«لم تحترمي شروط اتفاقنا فهذه رسالة تسريحك من العمل».

انتزعت جيانيتا الرسالة من بين يديه ومزقتها قطعاً.

«هذا جنون. . لا يجوز ان تعاملني بهذا الشكل!».

«حقاً؟ لقد وقعت عقد زواج الاسبوع الفائت مع شخص يدعى جيمس موريسون وتعلمين اني لا أقبل براقصة متزوجة. . . .».

«هذا استبداد وظلم، زواجي لن يغيّر شيئاً في رقصي، وجيمس لا يؤثر على حياتي المهنية».

«اذن، انه ليس زوجاً حقيقياً، في هذه الحال ستكونين فاشلة في حياتك الزوجية والمهنية معاً، لأنه سيؤثر على رقصك مهما كان الامر، ولا اقبل الاّ بالكمال».

«لكني احبه».

«لهذا السبب بالضبط سرّحتك، لا اسمح لراقصاتي الاّ بحب الرقص. . . .».

نهضت سيلفي من مقعدها ونظرت اليه بتوسّل:

«يجب ان ارحل الآن. . . .».

«لا. . . ذلك سيخدمك في المستقبل».

وكانت نبرة صوته جافة. انتبهت جيانيتا الى وجود الفتاة وسدّدت اليها نظرة ازدراء قائلة:

«يا الهي. . . انها شحاذة؟».

«السبب بدايتك يا جيانيتا؟ كنت اكثر منها فقراً، جعلت منك نجمة كبيرة وتردين لي الجميل بالزواج معتقدة اني لم اكتشف الامر، ظننتك اذكى من ذلك. . . .».

«لكن لم يتغير شيء في رقصي. . . .».

«انك غلطة، لم يعد الباليه يحتل المرتبة الاولى في حياتك. . . ثم هنالك الاولاد في المستقبل».

«لا يا انطوان، انا لست مجنونة الى هذا الحد!».

«ربما زوجك لا يوافق على الامر، ومن الطبيعي ان يريد اولاداً. . . اتخذت قراري. . . ولن اتراجع عنه، سمعت ان السيد موريسون يملك ثروة كبيرة، ربما ذلك يعوّض عن الرقص. . . .».

«هنالك فرق باليه اخرى، لست الوحيد الذي يملك مسرحاً».

«لماذا لا تجربي حظك معهم؟».

عاد غيظ الراقصة الى الفوران فقال لها:

«كفى. . . انك مزعجة لا تطاقين!».

فجأة بدّلت موقفها وبدأت بالتوسل، الامر الذي ازعج سيلفي فهي

كانت معجبة بجيانيتا الباتيزي كراقصة وامرأة في الوقت نفسه والآن تشاهد اذلالها بالرغم عن ارادتها، انه حقاً رجل بلا قلب، ربما اختاظ لارتباطها برجل آخر، سددت اليه نظرة جانبية لكنها لم تتمكّن من معرفة ما كان يجول في خلده، فجأة استدارت الايطالية نحوها وقالت لها بلهجة يشرّمها الغضب:

«استفيدي من هذا كدرس للمستقبل، كوني حذرة اذا اختارك مكاني. . . كنت مثلك بحاجة الى عمل وجعل مني راقصة لكني دفعت الثمن، اعطيته شبابي في قلبي وحتى روحي، وفي المقابل لم احصل على ادنى درجة من العاطفة او الحنان. كنت فخره، صنع يديه، ابتكاره. . . لكن لدي قلب يخفق، ووجدت الآن الشخص الذي قبل بتطبيب القلب الذي جرحه، فيطردني. . . .».

انطلقت بالبكاء الامر الذي أفقد انطوان صبره:

«كفى يا جيانيتا، قصصك لا تثير شفقة سيلفي ولا شفقتي. . . .».

رمقته بعينين تبرقان بنار الغضب موقفة البكاء فجأة، رأتها سيلفي تأخذ سكيناً كان على الصينية. . . لكن بعد جهد كبير استطاعت تمالك اعصابها قائلة:

«حسناً يا مايسترو، لكن سيأتي يوم تدفع لي ثمن كل هذا. . . .».

«تعالي يا جيانيتا، الامر لا يستحق كل هذا الغضب، لا تنسي اني علّمتك حسن السلوك الى جانب الرقص وجعلت منك سيدة مجتمع رفيع، وهذا الذي اثار اعجاب موريسون بك. . . .».

حاولت الايطالية الاحتفاظ بصوتها فاتراً لكنه كان معبراً عن شدّة غيظها:

«تحمّلت ظلمك واستبدادك في الماضي لأني اعتقدتك ستتزوجني. . . .».

«حقاً؟ أنا آسف على سوء التفاهم. . . وداعاً يا عزيزتي لقد مللت من حديثك السخيف».

لمحت سيلفي في عينيه تلك النظرة التهكمية الحيادية الملازمة له، ورأت جيانيتا تضغط على شفتيها من شدّة الغضب ثم خرجت من القاعة. . . .

«غريب أمر الايطاليين. انها ابنة مزارع فقير، رأيتها لأول مرة ترقص في

احد شوارع نابولي، كان لها من العمر ثلاث عشرة سنة، مرّنتها واكملت ثقافتها مقابل اخلاصها التام، وقبل تحقيق هدفنا والوصول الى القمة، تركتني من اجل جيمس موريسون».

جلس بعد ان نطق هذه الكلمات وفجأة بدت على وجهه ملامح التعب.

«جعلت منها راقصة ممتازة بالتأكيد، فهي رائعة ورقصها جميل جداً، لماذا لم تتزوج منها؟ ربما كنت احتفظت بها بهذه الطريقة. . . .».

قالت هذه الكلمات من فرط اعجابها بجيانيتا وتأثرها بحزن الراقصة.

«اتعتقدين ان الرجل يملك زوجته؟».

«لم افكر بالموضوع على الاطلاق. . . كان والدي يحترم والدتي ويقدّسها مثل كنز ثمين».

«وهي كنز ثمين. . . لعنه الله. . . .».

صدمت من كلماته. . . يا الهي، انه يكره والدها! ثم اشعل سيكارة اخرى وراح يتأمل سقف القاعة وسمعته يهمس:

«لا شك ان الزواج من فتاة صغيرة في السن، تجربة مثيرة. . . لكن يجب ايجاد الفتاة المناسبة. . . كان الامر مختلفاً مع جيانيتا. . . فانا احب المرأة بشخصية قوية لا لقتل شخصيتها بل للذة اخضاعها. . . .».

توقف عن الكلام مستغرقاً في تأمل السقف بينما حاولت سيلفي السيطرة على اضطرابها من جراء كلماته. . . انه رجل بارد وقاسي، حظ جيانيتا كبير فهي تخلّصت منه، ثم تذكّر وجودها فجأة:

«اعذريني يا ابنتي، ملاحظاتك البريئة حرّكت بي اشياء غريبة. . . .».

احست بعينيه تتفحصانها بالنظرة الناقدة المعتادة.

«بالطبع تعتبرين الزواج رابطاً لا يفسخ».

«نعم. اني بدون شك فقيرة ومشرّدة، لكن عائلة آلن، عائلة عريقة تحافظ على التقاليد» رمت برأسها الى الوراء مستطردة: «علّمني والدي القيام بتعهداتي والارتباط بكلمتي، والزواج باعتقادي يشكل أقوى وأقدس الروابط».

«تفكير نبيل. . . اذن استطيع الاتكال عليك بالقيام بجميع تعهداتك لي؟»

«طبعاً. . . أنا لن أتركك من اجل سيد موريسون ما. . . ».

«اطمئني، سأحرصُ على ذلك لكن بعد خمس أو ست سنوات ستصبحين شابة جميلة و. . . ».

قاطعته وبدا الانشراح في عينيها:

«سيدي. . . اعرف يقيناً اني لست جميلة. . . ».

«استطيع تمييز واكتشاف. . . لنقل المواهب. . . ».

تسلّل الغموض من صوته الى عينيه وهو ينطق هذه الكلمات ثم اضاف:

«انتظريني، سأكمل ارتداء ملابسي وآتي معك لرؤية والدك، هنالك اشياء كثيرة احب التكلم بها معه».

خرج من القاعة تاركاً وراءه فتاة يملأ الأمل قلبها.

٢ـ سأكون مرآتك

أوقف انطوان دي ميريكور سيارته على مسافة أمتار قليلة من الكوخ الصغير متفحصاً المكان ثم استدار نحو سيلفي مقترحاً ان تنادي والدها للذهاب الى مقهى صغير. لم ترغب الفتاة ان يرى المكان المتواضع الذي تسكنه، فسُرّت من اقتراحه وصعدت السلم بسرعة البرق ودخلت الغرفة الصغيرة لاهثة.

«ابي. . . نجحت يا أبي. . . يريد مقابلتك!».

كان فرانسيس مستغرقاً في افكاره ولم يفهم على الفور معنى كلماتها، وفجأة نهض من مقعده وبدأ بتسريح شعره ثم لحق بابنته الى السيارة.

أخذهم انطوان الى مقهى صغير يطل على قصر موناكو وعلى المرفأ، تحيط به حديقة مليئة بالازهار وأشجار النخل.

طلب احضارَ بعض الشراب ثم نظر مباشرة الى فرانسيس وقال له:

«بدون شك ابنتك موهوبة في الرقص لكنها بحاجة الى بعض التمارين، اني مستعدٌ لتدريبها مجاناً. . . لن ادفع لها اجراً، في الفترة الاولى، الى جانب ذلك توظيفها يقتضي رخصة عمل، والامر ليس سهلاً».

بدا الارتباك على وجه فرانسيس. . . وهتف:

«لكن اوضاعي لن تسمح لي بتأمين مصروف ابنتي. . . ».

«لا داعي لذلك ستسكن سيلفي عند السيدة ليسكو وهي سيدة محترمة، تشتغل في مسرحي، ربما نعود الى باريس فتتولى امرها خادمتي».

هتفت الفتاة ببريق من الحماس في عينيها.

«باريس!».

«نعم، مقرّنا الاساسي في باريس».

«ساحتاج الى بعض الملابس. . .».

«السيدة ليسكو تتولى الامر».

«بالطبع، اذا وفقت في البرازيل، سأرسل اليك بعض المال».

نطق والدها هذه الكمات بغرور وحماس، فارتسمت ابتسامة لطيفة على شفتيها الجميلتين، انها تعرف عفوية والدها حق المعرفة وكانت قلقة بشأنه، وفكرة سفره القريب أعادت قناع الحزن الى وجهها، فستشعر بالوحدة بعد رحيله وليس لديها اي صديق غيره. . .

رأت انطوان ينظر الى والدها وفي عينيه بريق من السخرية كأن تأكيد فرانسيس الأخير ازعجه. . . فهو يرغب في السيطرة عليها مادياً ومعنوياً. . . ارتعشت على أثر هذه الفكرة وسمعته يسأل والدها:

«سمعتك تتكلّم عن البرازيل. . . هل تنوي السفر؟».

بدأ فرانسيس يشرح بحماس عن مخططاته وآماله التي سيحققها هناك، ولدهشتها رأت الاهتمام في عيني انطوان وهو ينصت الى مشاريع والدها، ثم استدار نحوها وسألها:

«ولديك أقرباء آخرون؟».

ردّ عليه فرانسيس:

«نعم في اسكوتلندا، لكني على خلاف مع العائلة، وقد يتبرأ والدي من سيلفي اذا أصبحت راقصة، انها مهنة لا تلائم مقام العائلة، حسب اعتقاده. لي اخت ايضاً، مستعدة للعناية بسيلفي اذا احتاج الامر».

«لكن اسكوتلندا بعيدة. . .».

نظر اليه فرانسيس بدهشة واجابه بنبرة جافة:

«ليست بمنتهى البعد. . . لأبي مقاطعة كبيرة في بلدة ستراتكلان، لكن اراضيه الشاسعة لا تحتوي سوى قصر مهجور، وما زالت التقاليد تعني له الكثير، فابي محافظ أشد المحافظة على شرف وسمعة عائلته لهذا السبب، انا متأكد انه لا يدع احداً يمسّ شرف سيلفي او يؤذيها. . .».

لم تقتنع سيلفي بكلماته وتساءلت عن السبب الذي دفع والدها الى التكلّم عن تقاليد عائلته بهذا الحماس وكأنه يهدّد انطوان دي ميريكور ويريد تحذيره من شيء معين. . . اما انطوان، فلم يبد مستاء للأمر بل كان

ينظر الى فرانسيس بشيء من المرح في عينيه.

«اطمئن، شرف ابنتك امانة بين يديّ، سأحافظ على سمعتها بشدة».

وأحست بعينيه الداكنتين مركزتين عليها وابتسامة ساحرة تعلو شفتيه، شعرت بارتباك شديد وسمعته يهمس بنعومة:

«اذن فماضيك عريق!».

«وهل تاريخ عائلتي سيؤثر على رقصي؟».

نظرت اليه بقلق. . . فعائلتها في اسكوتلندا بعيدة عنها، ولم تؤثر على حياتها ومصيرها منذ زمن طويل.

«بالطبع لا. . . حفيدة اقطاعي أفضل بكثير من ابنة مزارع ايطالي».

نطق هذه الكلمات بغموض ورمقها بنظرة جانبية، ولم يفهم فرانسيس مغزى كلامه.

«لو تتنزهين قليلاً في الحديقة يا سيلفي ريثما انهي الحديث مع والدك. . .».

نهضت رغماً عن ارادتها، محاولة تفسير تصرّف والدها الغريب، تكلّم وكأن هنالك شيئاً يحز ضميره وهو بالذات الذي اكّد لها ان تعاقداً مع فرقة كوسموبوليت يحلّ مشاكلها. . .

لم تكتشف سيلفي ما دار بين الرجلين من كلام الاّ بعد بضعة أيام من تلك المقابلة، ففي الليلة نفسها، وافاها والدها بنبأ انتقالها الى منزل السيدة ليسكو عند الصباح، بينما هو يذهب الى مارسيليا للالتحاق ببيدرو دا سيلفستر. بالرغم من توقعها للاحداث التي ستطرأ على حياتها، فوجئت بسرعة تطور الامور وقالت له بحزن:

«ظننت انك ستبقى معي ريثما أغادر مونتي كارلو، لكن عليك بيع الكوخ وتدبير الامور قبل سفرك، اليس كذلك؟».

«لست بحاجة الى بيع الكوخ، اكتفيت برهنه وحصلت على قرض».

تنهدت شاعرة بالتعب يتملّكها فجأة، كان فرانسيس عاجزاً في اغلب الوقت عن تسديد ديونه. . . وظنت ان بيع الكوخ سيفي هذا القرض، قال لها وبدا الارتباك عليه:

«اني حزين وقلق جداً لمغادرتك يا سيلفي. . . لكن لا يوجد حل آخر. . . اذا احتجت الى شيء، اتصلي بالقنصل البريطاني فيساعدك

للعودة الى اسكوتلندا.

«وعند عمتي؟».

«اجل... لا داعي لكل هذا النفور من عمتك انيس، فهي تؤمن لك الملجأ والعيش».

«لا تقلق يا أبي، سيجري كل شيء على ما يرام».

امضيا ليلتهما الاخيرة وكل واحد منهما يحاول السيطرة على حزنه الشديد...

ساعة الفراق تقترب بسرعة مخيفة، لكن طبيعتهما المتفائلة جعلتهما متأكدين من نجاح مشاريعهما الخاصة. كانت سيلفي الاشد تخوفاً بين الاثنين، فهي لم تثق ببيدرو دا سيلفستر ولا بمشاريع وافكار فرانسيس الجنونية...

عند الصباح، أتت السيدة ليسكو الى المنزل. اطمأن فرانسيس لرؤيتها، فهي تبدو سيدة محترمة واكدت له انها ستعتني بسيلفي، وسترافقها في كل تنقلاتها بناء على طلب السيد انطوان... اما سيلفي، فلم تستحسن الأمر اطلاقاً، وهي معتادة على التجول والتنزه بمفردها الى حيث يطيب لها... سمعت السيدة ليسكو تشرح لوالدها سبب هذه المراقبة:

«نحافظ بشدة على راقصاتنا الصغيرات في السن، فالشبان يعتقدونهن طريدة سهلة لمجرد ظهورهن على خشبة المسرح، لكن الحقيقة مختلفة عن ذلك، المايسترو شديد الحرص على سمعة راقصاته...».

«لا داعي اذن للقلق يا ابي، لن يصيبني اي مكروه تحت مراقبة كهذه...».

نطقت هذه الكلمات وارتمت بين ذراعيه، واوغلت برأسها في حنايا صدره... فأحست بكل دفء الارض ينبعث من جوارح اغلى انسان في وجودها... وعدها بالكتابة وأكّد انه سيرسل اخبارا سارة.

راقبته يبتعد من خلال غشاء دموعها والغصّة في قلبها، متى وأين ستلتقي به ثانية؟ حملت حقيبتها وتبعت السيدة ليسكو...

منزل السيدة ليسكو كان في بناية عالية مركّزة على تلّة تشرف على البلدة. دخلت سيلفي غرفتها الصغيرة تتأملها باستحسان، كانت تختلف

كثيراً عن القاعة المتواضعة التي سكنتها مع والدها. اخرجت صورة مينيللا وعلّقتها على الحائط، فهي بالنسبة اليها الرمز لتحقيق اهدافها في مونتي كارلو، نجحت في مقابلة مدير الفرقة وحصلت على وظيفة... طافت هذه الفكرة بذهنها لكن الحزن عاد ليغمرها ثانية، فهي لم تتوقع سفر فرانسيس الى البرازيل... وتذكّرت سأم وملل والدها من الحياة الريفية في المدة الاخيرة. لا... يجب ان لا تحزن، من حقّه استغلال الفرصة المتاحة له، فهي الآن وجدت عملاً ومأوى، مؤمنة عيشها في الوقت الحاضر.

رتّبت امتعتها في الخزانة متذكرة وعد انطوان دي ميريكور بشراء ملابس جديدة لها، انها بحاجة ملحّة الى ثياب... آه لو يدفع لها معاشاً، ولو ضئيلا، فهي خاضعة لسيطرته التامة بدون مال، لكن الامور ستتحسّن عندما تبدأ بممارسة مهنتها فعلياً، ستحصل عندئذ على مرتب يؤمن لها استقلاليتها. لم تأخذها السيدة ليسكو الى المسرح، كما تأملت لكنها اعطتها بعض الاشغال اليدوية ولم تكن سيلفي ماهرة في الخياطة فأمتلكها الضجر فصعدت الى الفراش باكراً... هكذا امضت اول يوم عند السيدة الفرنسية المحترمة.

استيقظت على نهار مشرق حار، فقفزت من سريرها بنشاط، اخذت حماماً وارتدت سروالها وقميصها... كان المنزل غارقاً في سكون تام... وتذكّرت ان موظفي المسرح لا يصحون باكراً، فقرّرت الخروج للتجول في البلدة. فتحت الباب الحديدي الكبير بهدوء، فملأ الهواء الطلق صدرها... بدا كل شيء اجمل في سكون ووداعة هذا الفجر... قادتها قدماها نحو المرفأ القديم، فالشواطيء المليئة بالسيّاح لم تشدها. في الايام المعدودة التي قضتها في موناكو لم تر الا القليل من الامارة، وهو نهار جميل للسياحة... قطعت الاحياء القديمة، وعندما وصلت الى المرفأ جلست تشاهد القوارب والصيادين الذين لفحتهم شمس البحر، عائدين لتناول فطورهم... نظرت الى المياه الزرقاء المتلألئة بقمم أمواجها البيضاء واستغرقت كالعادة في أحلام اليقظة.

للأسف حان وقت العودة. لا تريد ان تلاحظ السيدة ليسكو غيابها، وكادت تتأهب للرحيل عندما مزّق ضجيج قوي سكون هذا الفجر الوادع... استدارت لترى جماعة من الصبيان المشاغبين، يلاحقون كلباً.

لم تتردّد ثانية لالتقاط الكلب المسكين عندما اقترب منها، واستدارت لمواجهة ملاحقيه وهي تشتمهم بالفرنسية والانكليزية معاً. لوقت قصير، فوجىء الصبيان بتصديها لهم، لكنهم استعادوا افكارهم بسرعة وأحاطوها مهددين والشر باد في أعينهم... لكن الخلاص كان قريباً، تجسّد بشاب ذي بنية قوية، كان ماراً فولّوا راكضين وبقيت سيلفي مسمّرة مكانها ضامة الكلب المرتعش الى صدرها...

اقترب منها الشاب ولم يزل شعره مبللاً من سباحته الباكرة، كانت بشرته الملفوحة بشمس موناكو تبرز زرقة عينيه... فتمتمت سيلفي بالانكليزية:

«لا اعرف كيف اشكرك يا سيد... كان هؤلاء المتوحشون يلاحقونه ليؤذوه».

وضعت الكلب على الرصيف وهي تخاطبه بنعومة محاولة تهدئة ارتعاشه، بدأ الحيوان المسكين يلحس اصابعها معبراً عن شكره، رفعت رأسها ونظرت الى مخلّصها الذي كان يراقبها ببريق من المرح في عينيه وسألته:

«انك انكليزي يا سيد... أليس كذلك؟».

«نعم... وانت كذلك، لا اعتقد ان هنالك شعباً آخر يخاطر بحياته من اجل كلب... وكنت في خطر يا آنسة، كانوا حقاً ينوون الشر...».

«اعرف... اكرر شكري لك، لكن هذا الحيوان المسكين سيموت من الجوع، تعطيني فرنكاً لكي اشتري بعض الطعام له؟ سيكون جميلك اكبر...».

ضحك الشاب وأخرج فرنكاً من جيبه.

«اسمي توم ترافرز اقضي اجازتي هنا، جئت لمشاهدة الكارنفال في نيس، ما اسمك؟».

«سيلفي».

كان الكلب يشغل كل اهتمامها، ثم اضافت: «هل ترافقني لشراء بعض الطعام له؟».

لم يردّ عليها بل توجه نحو مقهى قريب وخرج منه بعد قليل حاملاً قطعاً من اللحم وما تبقى من طلبات الزبائن، وضعها امام الكلب الذي ارتمى عليها بشهية.

«انه وسخ يا سيلفي ومليء بالبراغيث...».

لم ترد على تعليقه، كانت منشغلة بالكلب ولا تريد تركه، لكن اذا رفضته صاحبة الملك، ماذا سيحل به؟ لا هي لن تتركه مهما اقتضى الأمر.

احست بعيني الشاب مصوبتين نحوها، فرفعت رأسها لتنظر اليه، واعجب بجمال عينيها، لكنه لاحظ نحولها الشديد وثيابها الرثة فسألها بنعومة:

«ستبقين هنا؟».

«نعم في الوقت الحاضر».

«ماذا ستفعلين بالكلب؟».

«سأحتفظ به... لكن أريد غسله قبل ان تراه صاحبة الملك».

«نستطيع ان نغطّسه في البحر...».

«فكرة ممتازة، سيتخلّص من البراغيث...».

عرض عليها ان يحمل الكلب، لكنها رفضت متمسكة به بشدة، وتوجها نحو الشاطىء.

تأهبا لقطع الشارع عندما مرّت سيارة مرسيدس باتجاه نيس، توقّفت فجأة ونزل صاحبها متوجهاً نحوهما.

استدارت سيلفي لترى انطوان دي ميريكور بكامل اناقته، مقطباً جبينه ينظر الى ملابسها المغبرة والكلب الوسخ باستياء... ثم حوّل نظره الى الشاب الواقف جنبها.

«انطوان! ممنوع الوقوف هنا... لماذا نزلت؟».

نظرت سيلفي الى صاحبة الصوت الجالسة في السيارة، فرات امرأة جميلة بعينين زرقاوين وشعر ذهبي يكلّل وجهها الفتان... اما انطوان فلم يكلّف نفسه بالردّ عليها بل خاطب سيلفي بنبرة جافة:

«ماذا تفعلين هنا؟».

«كنت أنقذ الكلب ثم انقذني توم من بين أيدي بعض الاشرار... هل استطيع الاحتفاظ به يا سيدي؟».

«تتكلمين عن الكلب؟ بالتأكيد لا... كيف خرجت بدون اذن السيدة ليسكو؟».

نظرت اليه بدهشة وهتفت:

«هل تعتقد أني سأبقى في الداخل في يوم مشرق كهذا؟».

«لا تتجوّل الآنسات بمفردهن في مونتي كارلو...».

«أنها نظرية قديمة، انا معتادة على التنزه بمفردي بدون مراقبة أحد، ولم اتعرض لأي مكروه... حتى هذا الصباح... في الحقيقة كانت مغامرة مخيفة، لكن توم انقذني وانقذ فيدو، لماذا لا تشكره يا سيدي؟ ثم هذا الحيوان يحتاج الى حمام...».

«هذا واضح... لكن غسله ليس من اختصاصك».

اعتقدت سيلفي ببراءة ان انطوان سيهتم بالكلب الشارد، فبالنسبة اليها لا يمكن لأي انسان رفض مساعدة مخلوق يشقى... لكن انطوان يبدو مختلفاً، فهتفت بقوة:

«لن اتركه لرحمة هؤلاء الاشرار مهما اقتضى الامر...».

«ستفعلين كما آمرك ان تفعلي».

اشعلت نبرته الجافة نار الغضب في اعماقها، تمسّكت بالكلب بشدة لكنه كان معبراً عن التحدي:

«لا انك مخطيء. ثم لن اصعد في سيارتك، انني مليئة بالغبار وربما تستاء رفيقتك من الامر...».

اقترب منها مهدداً وهمس من بين اسنانه:

«تمرّد؟ يا لك من فتاة وقحة و...».

«اعذرني يا سيد».

قاطعه توم بلباقة متساءلاً عن الرابط الذي يجمع بين هذين الشخصين الانيقين وتلك الفتاة المتشرّدة التي صادفها من فترة قصيرة، ثم اضاف:

«استطيع ان آخذ الكلب الى مكان يهتم بالحيوانات الشاردة».

«شكراً يا توم على مساعدتك، لكننا في فرنسا ولا اعتقد ان هنالك مؤسسات من هذا النوع، في أي حال، لست مستعدة لتركه، ستجد حلاً، أليس كذلك؟».

بدا الارتباك على وجه الشاب لكنه قال لها بنعومة:

«أساعدك بقدر امكاني يا سيلفي...».

اعتلت شفتيها الجميلتين ابتسامة ساحرة ولاحظ انطوان نظرة التواطؤ التي مرّت بينهما، كما لاحظ جاذبية توم وحسن سلوكه، وهو انكليزي...

مثلها.

«فهمت ان الرقص أهم شيء في حياتك... وأراك تخاطرين بمهنتك من اجل كلب!».

قال لها هذه الكلمات بنبرة جافة وقاسية فنظرت اليه بدهشة وهتفت:

«كلامك يشبه الانذار يا سيد...».

«اشدد على الطاعة».

نسيت سيلفي كل حذر ونظرت اليه بعينين تقذفان شهباً من النار، لقد صدم استبداده وقسوته قلبها الرقيق وتسلل الغضب من عينيها الى نبرات صوتها وهي تهتف:

«انك متعجرف ومغرور...» ضمّت الكلب الى صدرها مستطردة:

«انظر اليه... انه مسكين وجائع... انا متأكدة انك لم تعرف الجوع والحرمان في حياتك... كيف تتركه يشقى هكذا!! وأراك تهددني بالطرد لأني لم اوافق على ظلمك واستبدادك! اني احتقرك...». ثم نظرت الى الكلب وهمست باذنه: «لن أتركك يا فيدو، ويستطيع السيد دي ميريكور الاحتفاظ بوعوده الذهبية».

رأى توم نظرة الاعجاب التي مرّت في عيني انطوان واستدار نحوها قائلاً بنعومة:

«سيلفي... لا تجازفي بمستقبلك من اجل كلب...».

عاد قناع الحزن يغطي وجهها.

«بدّلت موقفك يا توم؟».

التفت حولهم جماعة من الناس تراقب المشهد الغريب، الشاب، يبدو سائحاً، الطفلة وثيابها الرثة، الكلب المرتجف والوسخ، المدير الانيق، والسيدة الجميلة في السيارة... ربما القضية تتطلب وجود البوليس... هذا ما كان يهمس به بعض المتفرجين وقرّر انطوان انهاء العرض لتفادي الفضيحة، فقال للفتاة بقسوته المألوفة:

«كفى الآن... لا داعي لهذه الهستيريا كلها، احتفظي بالكلب اذا شئت ولنغادر هذا المكان قبل وصول البوليس» ثم استدار نحو توم:

«شكراً يا سيد على مساعدتك، اصعدي يا سيلفي في السيارة وحاولي ابقاء هذا الكلب بعيداً عن الفرش...».

جلست سيلفي على المقعد الخلفي واضعة فيدو على حجرها وسمعت السيدة الشقراء تهتف بالفرنسية:

«يا الهي، كيف تسمح لها يا انطوان بالصعود الى السيارة وهي وسخة الثياب!».

«معك حق يا مارغريت، لكن لا يوجد حل آخر...».

ردّ عليها بالانكليزية، ثم اخرج ورقة صغيرة من جيبه وأعطاها لتوم.

«يكفيك تقديمها للحصول على مقاعد مجّانية في المسرح، اشكرك على مساعدتك لسيلفي».

أخذ توم الورقة وراح ينظر الى انطوان بعينين مدهوشتين ثم سمع سيلفي تهتف مادة رأسها من النافذة:

«وداعاً عزيزي توم لن انس فضلك ابداً».

عزيزي توم! تقطّب جبين انطوان وهو يدير محرّك السيارة.

«كنت اجهل انك تعرفين هذا الشاب...».

«التقيت به هذا الصباح، انقذ حياتي».

«ماذا؟».

«حاولت ايقاف زمرة من الصبيان تلاحق فيدو، وكادوا يضربونني لكن توم رآهم وانقذ الموقف...».

«يا الهي...».

سدّدت اليه نظرة جانبية وأردفت بسرعة عندما رأت القلق في عينيه:

«الحمد لله اني بخير، لم يصبني اذى».

قبوله بالكلب اعاد الابتهاج الى قلبها، وساورها شعور بالخجل لانفجارها السابق...

«اعتذر، لقد فقدت السيطرة على أعصابي منذ قليل، لكني لم أقصد فعلاً ما قلته».

«استحدت صوابك». وأردف بلهجة الأب المخاطب ولده: «ستصبحين بالبرينا في المستقبل يا سيلفي، فيجب ان تكتسبي العادات اللبقة وحسن السلوك».

«نعم يا سيدي».

رأت مارغريت ترمقها بازدراء وتقول بلهجتها الباريسية الرفيعة:

«لقد تأخرت يا أنطوان، هل نسيت ان لدي موعداً في نيس؟ يا له من حادث مزعج، تريد ان تجعل منها راقصة حقاً؟».

«لقد نجحت مع غيرها، لماذا لا انجح معها؟ اقدّر الذكاء والشخصية القوية يا مارغريت، وهي تمتلك هاتين الصفتين، وسأتمكن من اخضاع عصيانها».

لم تعلّق سيلفي على كلماته الاخيرة بل راحت تفكّر بجبانيتا، لقد فشل في اخضاعها.

«تتكلمين الفرنسية، اليس كذلك يا سيلفي؟».

«نعم، لكنني لا اجيدها مثل السيدة...».

ضحك انطوان.

«انها طفلة مزعجة يا مارغريت، لا تسكت على شيء».

استدار نحو سيلفي: «ستكون اللغة الفرنسية اول درس لك».

«فهمت اني سأتعلم الرقص لا اللغات!».

«تحتاجين الى اشياء كثيرة الى جانب الرقص، كانت جبانيتا تتكلّم ثلاث لغات، اريد ان اجعل منك راقصة مثقفة يا سيلفي...».

«هذا ضروري حقاً؟».

«نعم».

جاء ردّه قاطعاً، فلم يترك لها مجالاً لمناقشته...

أوقف السيارة امام المنزل، وبعد ان اعتذر من مارغريت، لحق بسيلفي الى الداخل، باحثاً عن صاحبة الملك.

جلست سيلفي والى جانبها الكلب، تفكر بكلمات انطوان والحاحه على اعطائها دروس في اللغات... فهي لا تعتبر ذلك ضرورياً، اعادت انتباهها الى الكلب، سيكون فيدو رفيقها الجديد، يتسلقان الصخور ويكتشفان اسرار الامارة معاً...

عاد انطوان وعلى وجهه ابتسامة عريضة تنبئها باخبار سارة.

«نجحت في اقناع السيدة بوتوا بالاحتفاظ بالكلب، تستطيعين غسله في الحديقة والتنزه معه برفقة السيدة ليبكو، لكن أريدك ان تفهمي للمرة الاخيرة، لن اسمح بتكرار ما حدث هذا الصباح، والاّ ستكون نهاية قصتك مع الكلب».

ماتت كلمات الشكر على شفتيها، لقد أعطته حجة لتهديدها، فيدو. . . وهي متأكدة انه يطبّق تهديده اذا احتاج الامر.

«والفهم من ذلك ان فيدو رهين حسن سلوكي، هذا استبداد يا سيد، ظننتك انسانياً، لكني اخطأت. . . .».

نطقت هذه الكلمات بجهد كبير وسمعته يقول وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة:

«لم ادّع يوماً اني انساني، لا قيمة عندي لهذه الكلمة ولا أريدك أن تتجولي بمفردك. . . .».

نطق هذه الكلمات وهو يفكر بتوم ترافرز، فقبل اخضاع هذه البجعة البرية، يجب ان يراقبها أشد المراقبة.

«وكيف امضي ايامي اذن؟».

سألته بتحد وعيناها الجميلتان تبرقان بالغضب، نظر اليها شاعراً برغبة قوية للسيطرة عليها كلياً وامتلاكها، كانت جالسة على كرسي عال والكلب على قدميها، غير مبالية بجمال الصورة التي تقدّمها له، فاعتلت شفتيه ابتسامة ساحرة وقال لها بلهجة ناعمة:

«لا داعي لكل هذا اليأس، في الوقت الحاضر لا أستطيع الاهتمام بك، لدي الكثير من الاعمال، سأرسل لك بعض الكتب للمطالعة، وتستطيعين الذهاب الى المسرح كل ليلة لمشاهدة الباليه، هذا يفيدك كثيراً للرقص في المستقبل. . . .».

نظرت اليه وعادت اشراقة المرح الى وجهها!

«شكراً يا سيدي، لكن متى ابدأ تماريني؟».

«يأتي ذلك في وقته، اريد اولاً الاهتمام بأمر تغذيتك، انك نحيلة جداً، يجب ان اعود، مارغريت تنتظرني في الخارج».

توجه نحو الباب ثم استدار ليضيف:

«ادعوك الى العشاء هذه الليلة، ستهتم السيدة ليسكو بملابسك».

نظرت اليه بدهشة. . . قال لها ليس لديه الوقت للاهتمام بها، والآن يدعوها الى العشاء!

«العشاء. . . معك؟».

كانت تخشى ذلك قليلاً.

«نعم، هنالك أمور اريد ان اقولها لك، امور تتعلق بعملك، توقيع العقد، هل نسيت ذلك يا سيلفي؟».

بالطبع، نسيت هذه الناحية الادارية، اعتقدت ان فرانسيس اهتم بالامر.

«سنذهب الى نيس، فهي اكبر من مونتي كارلو ويصعب ازعاجنا».

«فكرة ممتازة».

قال لها بصوت ساخر:

«انه عشاء عمل يا سيلفي. . . الى اللقاء».

توجهت نحو النافذة مختبئة خلف الستار لمراقبته يصعد في السيارة، بدت مارغريت غاضبة لتأخره، فقال لها شيئاً وعلى وجهه تلك الابتسامة الساحرة، التي تميّزه عن غيره، ثم قبّل يدها مما أنساها غضبها، وانطلقا بالسيارة يضحكان.

معه حق، أشغاله متعددة. لا يشكل الباليه اهتمامه الوحيد، وتساءلت اذا كانت مارغريت تقيم في الفندق نفسه، كانا لائقين أحدهما بالآخر، السيدة الجميلة والرجل الأنيق.

تنهدت وعادت لكلبها تخاطبه برقّة:

«لم يكن لطيفاً معك يا فيدو، يقبل بك من اجل ضمان طاعتي فقط، اتعرف شيئاً؟ انا لا احب السيد دي ميريكور، لكن اريد ان اصبح راقصة، لهذا السبب اتحمّل ظلمه. . تعال سأغسلك الآن وافكر باسم أجمل من فيدو».

عند العصر، اخذتها السيدة ليسكو لشراء بعض الالبسة واختارت لها وفقاً لتعليمات السيد انطوان، اي، بنظر سيلفي، البسة محتشمة خالية من الذوق، وتساءلت كيف يمكن بيع ثياب من هذا الطراز في مكان سياحي مثل مونتي كارلو. لكنها فهمت فيما بعد ان المتجر مخصص للزبائن المحافظين. مثل السيد انطوان في ما يختص براقصاته.

رغم جودة نوعية الالبسة التي اختارتها السيدة ليسكو، لم تفرح سيلفي بامتلاكها، لكنها سحرت بثوب طويل، لونه احمر داكن وعكست لها المرآة صورة آنسة جميلة مكان الطفلة الهمجية والمزعجة حسب قول انطوان. . . انها لاول مرة ترى نفسها في ثوب طويل، لكن عندما احست بعيني السيدة

ليسكو مصوبتين عليها، حاولت ان تبدي عدم اهتمامها بالثوب، كأنها معتادة على ارتداء ملابس السهرة الانيقة في كل ليلة من حياتها. ثم قالت لها:

«أجد اللون قاتماً، أليست هنالك ألواناً اكثر زهاء؟».

التوت شفتا السيدة ليسكو وهي تجيب:

«طلب مني السيد دي ميريكور اختيار ثياب محتشمة، هذا الثوب ملائم جداً».

اذن لم يرغب السيد دي ميريكور ان تلفت الانظار... طافت هذه الفكرة بذهنها وقررت عدم التعليق.

لكنه عندما اتى في المساء لم يبد استحسانه لذوق السيدة ليسكو، كان شعرها مشدوداً الى الوراء وثوبها الضيّق يبرز نحول جسمها، ونظر باستياء الى وجهها الخالي من أي زينة، اكتفى بنظراته الناقدة بدون تعليق وأحست سيلفي بتفحصه الشديد فسارعت للقول:

«لا أملك شالاً انيقاً، اختارت لي السيدة ليسكو معطفاً قاتماً وليس لديها ذوق رفيع في الازياء».

«تبعت اوامري».

اجابها بصوت هادىء مما أثار غضبها.

رافقها الى المرسيدس كأنها ضيفة الشرف... وتنهدت بحزن عندما تذكرت المرأة الجميلة التي كانت جالسة مكانها هذا الصباح، بدون شك سيفتقدها هذه الليلة، فالفرق بينها وبين مارغريت شاسع.

انطلق بالسيارة على الطريق الساحلية المحاصرة بين الصخور والبحر، كان النهار على وشك الزوال، والقمر يسبغ على مياه البحر بريقاً.

وصلا الى شوارع نيس المضيئة... بدت لها الفنادق الفخمة قصوراً، كان جو العيد يخيّم على البلدة ووجّهت اضواء متعددة الالوان على شجر النخيل المزروعة على الارصفة.

«نيس في عيد، لقد بدأ الكارنفال السنوي...».

«قال لي توم انه سيشاهده».

«حقاً؟».

بدا منزعجاً من ذكر اسم الشاب. رأت سيلفي في احدى الحدائق

طاووساً. صنع من مصابيح كهربائية مختلفة الالوان فهتفت باعجاب:

«ما اجمل هذا الطاووس!».

«لكنه اصطناعي...».

«ظننتك تحب التصنع!».

كانت تفكر بمارغريت وفوجئت بردّه:

«افضّل الجمال الطبيعي يا سيلفي».

اوقف السيارة الى جانب الرصيف واستدار نحوها:

«اعذريني قليلاً، سأعود للفور».

نزل من السيارة ودخل متجر أزياء ثم رأته عائداً وهو يحمل علبة بين يديه، فتح باب السيارة والقاها على حجرها:

«شالك».

فتحت العلبة وأخرجت منها شالاً اسبانياً مطرزاً بالزهور، وضعته على كتفيها وهتفت بحماس.

«انه رائع... آه لو كان لدي مرآة...».

«سأكون مرآتك».

اخذ يرتّب الشال حول كتفيها ويد لطيفة، أرخى خصلات شعرها المشدودة، فتساقطت على جبينها وخديها...

«لكن يا سيدي! أمضيت ساعات في ترتيبه».

قاطعها ضاحكاً:

«تسريحتك ذكّرتني بالمساجين».

أخذها الى مطعم في احد شوارع نيس الضيقة، كان المكان مخصصاً لهواة الانفراد والجلسات الهادئة. دخلت محاولة السيطرة على ارتباكها واحست بأعين الخدم مصوّبة عليها، فتقدمت برشاقتها المألوفة ودهشت للصورة التي عكستها لها المرآة في المدخل... بدّل الشال منظرها تماماً، فألوانه النارية أبرزت بياض بشرتها وسواد شعرها.

حجز انطوان طاولة في زاوية من المطعم، الى جانب شجرة نخيل زادت في انعزالها.

جلست على المقعد المهيأ لها، ورأت في عيني انطوان بريقاً من المرح وهو يتأملها. كان معجباً بالفتاة الهادئة الجالسة أمامه وبدت له مختلفة تماما عن

الطفلة التي كان يحتدم فيها الغضب هذا الصباح.

جلس قبالتها، وأحست مرة اخرى بمدى جاذبيته، بكامل اناقته كالمعتاد، شعره الأشقر يلمع وملامحه تبدو مكتملة الرجولة.

قدّم لها الخادم لائحة الطعام لكنها طلبت من انطوان ان يختار لها شيئاً.

أحضرت أطباق السمك واللحم، وعمّت الرائحة الشهية المكان.

احتل الباليه محور الحديث. سرّ انطوان بمعرفتها الواسعة في هذا الفن الذي يعشقه منذ حداثته... أما سيلفي، فكانت تنصت اليه باهتمام كبير وهو يخبرها عن حبّه للباليه، تنصت اليه بعينين بارقتين وابتسامة تضفي على وجهها سحراً فتاناً.

أعجب بحديثها المتنوع والمثير وعيناه تعبران عن تقديره المتزايد، لقد أحسن الاختيار هذه المرة، سيطلق راقصة لامعة...

شربا القهوة، ثم اشعل سيكارة وقال لها:

«لنتكلم عن الناحية الادارية الآن يا سيلفي...».

«تعني توقيع العقد؟».

«بالضبط. فكرت طويلاً في الامر يا صغيرتي، سيتطلّب تدريبك الكثير من الوقت والجهد والمال. وعند الاقتراب من الهدف المرغوب، لا أريد تضييع تعبي. وتعبك، من أجل جنون أو شرود ما، كما فعلت جيانيتا...».

تعمّدت أن تنظر الى عينيه بثبات وقالت:

«سبق وأكدت لك اني لن اجازف بمهنتي يا سيد».

«تؤكدين ذلك الآن. لكن هل نسيت الكلب؟».

«الكلب؟».

نظرت اليه بدهشة واضطربت من تفحصه الشديد وراحت تتأمل الصحن امامها محاولة السيطرة على ارتباكها، ثم ردّدت سؤالها:

«سألتني عن فيدو... لكن لم أفهم قصدك».

«من اجله لم ترددي في رمي كل شيء، وهو مجرد كلب... لكنك تصرّفت تحت تأثير الغضب والانفعال، واخشى ان يتكرر ذلك في المستقبل، خاصة كما يبدو انك سريعة الغضب يا سيلفي».

«لكن. اعتقدت انك سامحتني».

«هذا ما فعلته، لكن لو تصلّبت في قراري، ما كان موقفك عندئذ؟».

«كان توم سيتقبله... ولحسن الحظ بقي فيدو معي ولن احتاج لمساعدته اعتقد لو تعقّدت الامور، كنت سأعود الى الطاعة».

استطاعت ان تنطق الكلمات الأخيرة بدون أي اختلاجة في صوتها، وسمعته يقول بسخريته العادية:

«آه... السيد توم منقذك... ارى انه لا يفارق أفكارك!».

انه ماهر في حرق أعصابها... عضّت على شفتها محاولة السيطرة على غضبها، بدت له في هذه اللحظة بغاية الجمال، كان الغضب يرسل بريقاً نارياً في عينيها وفكّر ان هذه الفتاة الجالسة امامه من النوع الذي يضحّي بكل شيء في سبيل الحب...

«انه لطيف... الا تعتقد ذلك؟».

نطقت هذه الكلمات بصوت متزن.

«انسان عادي».

«لكنه شاب وسيم».

احست بنظرته القاسية فاضافت بسرعة:

«ومحسن، انت ايضاً طيب وعطوف لكنك لا تحب الاعتراف بانسانيتك ومساعدتك للآخرين» اجابها بصوت جاف:

«للمرة الأخيرة، ارجوك ان تفهمي ان الانسانية والاحسان هما كلمتان فارغتان من اي معنى عندي، انا لست من النوع الذي ينجرف بشعوره. لا مانع عندي من احتفاظك بالكلب، لكني لا اتحمّل العصيان...».

«لا ارغب في عصيانك، لا تنسى ان هدفنا واحد... انا الرقص وانت خلق راقصة».

«وعود جميلة لكنها لا تكفيني يا سيلفي، اريد ضمانات اقوى».

رمقته بنظرة دهشة، لماذا لا يكفّ عن التكلم عن هذا الموضوع؟ لقد اكدت له مراراً اخلاصها!.

«وماذا يجب ان افعل لكي تصدقني؟ امضاء عقد أتعهد فيه بعدم تركك؟».

«نعم».

جاء ردّه قاطعاً، وارتبكت من نظرته الغريبة فقالت وهي تتحاشى النظر

اليه:

«لكني سأكبر يوماً واضطر الى ايقاف الرقص، فلا فائدة مني بعد ذلك».

«حينئذ، سأصبح شيخاً هرماً... لكني لا افكر بالشيخوخة الآن، بل بالسنوات العشر المقبلة حيث تنضجين وتتحولين الى امرأة جذابة... لسوء الحظ لن تبقي طفلة الى الأبد...».

«تعتقد أني سأتزوج مثلما فعلت والدتي وجيانينا... سأوقع العقد، هذا يؤمن لك الضمانة الكافية، ولا أستطيع الزواج فيما بعد، اليس كذلك؟».

«بالضبط... العقد الذي ستوقعينه يتضمن بنداً يمنعك من المغادرة بدون موافقتي».

ساد صمت متوتر بعد هذه الكلمات ثم تمتمت وعلى شفتيها ابتسامة مترددة:

«كأنك تتكلم عن عقد زواج!».

«بالضبط».

«لكن. لا أستطيع».

شعرت بتلاحق انفاسها على غير عادة وهمست:

«هذا جنون!».

«لا أوافق معك... أنت بالذات قلت كان ينبغي على الزواج من جيانينا للاحتفاظ بها. وتعتبرين ان الزواج عقد لا يفسخ، اليس كذلك؟ ثم سيحل مشاكل اخرى، تستطيعين الحصول على الجنسية الفرنسية وهذا يسمح لك بالاقامة والعمل في فرنسا».

«لكنك... لكنك لا تحبني!».

فالحب شرط أساسي للزواج بالنسبة اليها. ضحك انطوان:

«لا يا سيلفي، لا حاجة للحب أو ما تسمينه أنت بحب، لا مكان له في عقدنا، انك بحاجة الى شخص يحميك، وسأكون هذا الشخص، انه زواج بالاسم فقط».

«لا... لا استطيع، انا لست لعبة بين يديك».

تذكّرت نظريته في الزواج وكلماته المريرة بعد ان طرد جيانينا، واحست

بقشعريرة تسير في كيانها.

«بالطبع، سيبقى ذلك سراً... لا ارغب في تشييع الخبر، ومن الصعب ان يصدق الناس انه زواج بالاسم فقط، فالافضل الاحتفاظ بالسر وكتمان الأمر».

سمعت سابقاً ان الفرنسيين يحصلون على مهر من زوجاتهن!

«لقد تكلّم والدي عن أملاك جدي في اسكوتلندا، هل تعتقد اني سأرث ثروة كبيرة في يوم ما؟ أذكرك ان جدي سيتبرأ مني اذا اصبحت راقصة».

نطقت هذه الكلمات بسرعة وتأملت انه سيغيّر فكره، لكنها رأت الابتسامة الساخرة على شفتيه.

«لا أطمع بالمال يا سيلفي... موهبتك تشكل في نظري مهراً أهم من الثروة، وهذا ما أرغب في أخذه والاحتفاظ به، ضحّت والدتك بالرقص من أجل حبها لوالدك، ولن أتركك تفعلين مثلها».

«أقسم لك اني لن اتزوج في حياتي... فلا حاجة للقيام بهذا العمل الجنوني».

تسلّل الخوف من عينيها الى توسّلها، فهي تقبل به كأستاذ ومدير لكن فكرة الارتباط به مدى الحياة كانت تخيفها. لاحظ انطوان ارتباكها ورعبها فراح يخاطبها بنعومة محاولاً تهدئتها:

«لا داعي لكل هذا القلق، اطلب منك توقيع عقد زواج بدلاً من عقد عمل... ثم تنسين الامر كلياً».

«وانت ايضاً ستنسى الامر؟».

«نعم» لكنه لم يكن مقتنعاً من تأكيده، واستطرد: «بعد بضع سنوات، ستصبحين نجمة رقص شهيرة الى جانب كونك امرأة جميلة وجذابة، سيصعب عليك عندئذ الاحتفاظ بوعودك، لكن عندما تكونين زوجتي، تتغير الامور».

قال هذه الكلمات وهو ينظر اليها بطمع وشراهة وأردف:

«زواجي منك يساعدك على مقاومة التجارب بسهولة اكبر».

كانت رغبته في السيطرة عليها واضحة، السيطرة التامة، وكونه مديراً لها فقط، لا يسمح له بذلك.

«لكن اذا رفضت عرضك، ماذا سيحل بي؟».

«فهمت ان لديك عمة في اسكوتلندا، عندئذ سارسلك اليها».

«ترسلني؟ لست سلعة ترسلها حيث ما يطيب لك. . . أرفض الذهاب اليها. . . سأجد عملاً في مكان آخر».

«اعرف الكثير من هواة الرقص يئسوا من الحصول على عقود عمل. لا تنسي انك قاصرة وغريبة، وربما ترغمين على مغادرة الاراضي الفرنسية».

عاد قناع اليأس ينتاب وجهها، اين الهرب من هذا الواقع المرير؟

«هل اخبرت والدي بالامر؟».

«تركك تحت حمايتي وطلب مني ان اكون حارسك الشرعي».

«اذن يجب ان تكتفي بذلك، فلن أستطيع فعل شيء بدون موافقتك، اليس كذلك؟».

«لكن عندما تبلغين الثامنة عشر، سأفقد كل سلطة عليك».

«وضع ابي ثقته العمياء بك. . . وأنت!».

ماتت الكلمات على شفتيها، فلا داعي للمناقشة معه، انه مستبد.

«ما زلت موضع ثقته فانا اعرض عليك حمايتي الكاملة. . . حتى اسمي، وبالرغم من ذلك، لا اطالب بحقوقي الزوجية. لا اعتقد انك تريدين ذلك».

«بالطبع لا. . .».

جاء ردها عنيفاً، فساورها شعور بالخجل، ربما احس بعداوتها فاضافت بسرعة:

«اعني يمكنك ان تكون والدي».

لكن براءة كلماتها جرحت غروره فسمعته يقول لها بجفاف:

«لا اعتقد ذلك، لم ابلغ سن والدك بعد، لكن يمكنك ان تعتبريني اباً لك».

عاد بصيص الامل الى عينيها فسألته وعلى شفتيها تتراقص ابتسامة مترددة:

«اذن لماذا لا تتبناني؟».

«قلت لك سابقاً، لدى بلوغك الثامنة عشر، افقد كل سلطتي عليك».

ساد صمت متوتر وراحت تشد عزيمتها للسيطرة على اضطراب تنفسها فأمسك بيدها وقال لها بنعومة:

«تعالي يا سيلفي، هل نسيت انك ابنة مغامر؟ انا مستعد لخوض هذه التجربة، اذا نجحنا ستكون النتائج عظيمة، انها تجربة تستحق مخاطرة كهذه».

أحست بقشعريرة خفيفة للمسته ثم رأته يتأمل يدها بعينين حالمتين هامساً:

«انها يد فنانة. . .».

هو ايضاً يملك يد فنان، طافت هذه الفكرة بذهنها وهي تتأمل الاصابع القوية والرفيعة التي ما زالت قابضة على يدها. . . ثم تذكرت مارغريت. تذكرت جمالها واناقتها، ستكون مجنونة اذا رفضت عرضه، فهو على حق، انها بحاجة الى شخص يحميها ويحرص على مصالحها، لا داعي للخوف، لديه مارغريت، ولا يمكن لسيلفي آلن اثارة اعجابه، هذا ما اكده لها والدها ايضاً.

«اشكرك يا سيدي على عرضك، لا استطيع استغلال الفرصة والقبول بتضحيتك، اعني الارتباط بي، ستحرم من الزواج من امرأة تحبها، امرأة جميلة مثل مارغريت».

رفع حاجبه ينظر اليها بدهشة.

«يا عزيزتي، لا ارغب في الزواج من امرأة مثل الآنسة دابليه».

اعتلت شفتيه ابتسامة ساخرة واستطرد وكأنه يخاطب نفسه:

«لا حاجة لي في ذلك في اي حال».

اثارت كلماته الاخيرة نار غضبها، فهو طليق حر، يعدّد تجاربه العاطفية ويحتفظ بها سجينة، لكي لا تعرف الحب في حياتها خوفاً من ان تتركه. . . هذا استبداد، طردت هذه الفكرة من ذهنها، لا تريد الآ الرقص وحب فنها، فهي لا تبالي بقصصه العاطفية.

«اوافق على شروطك».

مرة اخرى، أحسّ انطوان بحسن اختياره، فهي نادرة من نوعها. . . ومع مرور الوقت ستتحوّل الى امرأة تستحق كل التضحيات التي يبذلها الآن من اجلها، سيجني ثمرة اتعابه، هو انطوان دي ميريكور سيتزوجها،

ليبعد عنها الرجال من صنف توم ترافرز.

وحسناً. . . اتفقنا اذن».

قبّل يدها فاحست برجفة خفيفة للمسة رجل كانت لوقت قصير متأكدة من نفورها منه، وبدافع جنوني، شعرت بكراهية عميقة، عجزت عن تفسيرها، نحو مارغريت دابليه.

٣ـ اريدك لي

مرّت عدة أيام لم تر خلالها انطوان، وفهمت من تلميح السيدة ليسكو، أنه يتمتع بمشاهدة الكارنفال بصحبة الآنسة مارغريت دابليه.

فكّرت بتلك الليلة، متسائلة اذا كان عشاؤها معه حقيقة أم خيالاً.

ليس هنالك ما يوحي بأن لديه مشاريع تتعلّق بمستقبلها سواء على الصعيد المهني او الشخصي. . . كما وعدها سابقاً، اكتفى بارسال بعض الكتب، كتب مملّة وجافة أعاقتها عن التنزه والتمتع بالهواء الطلق. حتى لذة السباحة حرمت منها، كانت السيدة ليسكو تخشى المياه المالحة ولم تسمح لها بالاستحمام بمفردها.

لكنها امتنعت عن التمرّد والعصيان بسبب أمرين: الاول، فيدو، والثاني، زياراتها الليلية الى المسرح. لقد أفهمها انطوان بوضوح أنها امران متعلقان بحسن سلوكها.

تمضي أيامها في انتظار المساء بفارغ الصبر، ترتدي ثوبها الطويل، وتذهب بصحبة السيدة ليسكو، الى المسرح. . . وفي كل ليلة، تنتقل الى دنيا أحلامها ناسية السيدة المحترمة بالزي الاسود، الجالسة قربها.

في احدى الليالي، رأته. . . كانت كالمعتاد، جالسة قرب السيدة ليسكو عندما رأته يدخل برفقة مارغريت دابليه. مرة اخرى، احست بمدى جاذبيته بالرغم عنها، وجدت نفسها تعجب بوسامته وأناقته، اما رفيقته، فلفتت جميع الانظار بشعرها الذهبي وثوبها اللامع الفضي، وكأنها جمعت الشمس والقمر في آن واحد. . . الماس يتدلى من اذنيها، حول عنقها ويديها، يبرق بريق النجوم في سماء ليل حالم.

هكذا رأتها سيلفي، وكأنها آتيان من عالم الجن لا صلة لها في الواقع. لم تلمحه منذ تلك الليلة. ليلة دعاها للقاء معه في نيس كانت تتلقى أوامره من السيدة ليسكو.

حوّلت بصرها عن مارغريت لتنظر الى الجسم الطويل النحيل والوجه الوسيم ملاحظة الاحترام الذي كان يلقاه من قبل الموجودين. من المستحيل لشخص مثله الاهتمام بها. لاسيما عرض الزواج عليها! لم يسدّد نظرة واحدة نحوها، وهو يدرك مسبقاً وجودها في المسرح. بدا منشغلاً باصدقائه. تخاطبه مارغريت وعلى شفتيها الجميلتين تتراقص ابتسامة مغرية، بينما هو يكتفي بالنظر اليها من حين الى آخر وكأنه سيد الخلق، ذكّرها بالاسد الذي ينظر بتسامح الى لهو القطط الصغار، الى ان يقرّر تشتيتهم بضربة من كفّه. حقاً، انه يعتقد نفسه ملك الغابة.

رفع الستار، فعادت ببصرها الى المسرح ناسية انطوان ومارغريت وما يحيط بها، واستسلمت لسحر المشهد. تعرض هذه الليلة الأميرة المسحورة كانت الجنيات يوزّعن الهدايا بمناسبة ولادة الاميرة أورورا، ثم وصلت الساحرة المخيفة كارابوس بتنبؤها المشؤوم عن قدر الطفلة الراقدة في مهدها. اختفت بعد ذلك تاركة وراءها القصر وسكانه، مستغرقين في نوم عميق.

أعيدت الاضواء الى الصالة وأفاقت سيلفي من شرودها على صوت دافىء يهمس في اذنها:

«هل استمتعت بالعرض يا سيلفي؟».

فوجئت بانطوان واقفاً أمامها، لم تسمعه قادماً نحوها بسبب استغراقها بالعرض، ورأت السيدة ليسكو تغادر مكانها محتذرة وتتركها بمفردها معه. كان ظل قامته الطويلة يحجب النور عنها وسرت قشعريرة في كيانها لهذا اللقاء المفاجىء.

«العرض رائع يا سيدي، ورقص الباليرينا ساحر».

«ليونورا ترقص جيداً، لكنها خالية من السحر».

«كيف تقول ذلك؟ كانت رائعة في رقصها!».

«لا أوافقك، رقصها عادي، تذكري يا سيلفي أني لا أقبل الاّ بالكمال لا تنسي ذلك ابداً».

«نعم يا سيدي».

ردّت عليه بصوت خافت، يطلب هذا الرجل المعجزات من راقصاته، هل ستتمكن يوماً من منافسة ليونورا أو التفوق عليها؟ أحست بيده تمسك ذقنها رافعة رأسها نحوه، فهو يريدها أن تنظر في عينيه.

كان النور يتلاعب في طيّات شعره الأشقر، أحست باضطراب شديد لم تتمكن من تفسيره، فتفادت النظر اليه حاجبة عينيها بأهدابها الطويلة.

«أعتقد انك تملكين من السحر ما فيه الكفاية يا صغيرتي». قال ذلك بنبرة ناعمة ثم سألها: «هل تطالعين الكتب التي أرسلتها لك؟».

«أجل، لكنها جافة ومملّة يا سيدي».

«واظبي على قراءتها ستجدينها اقلّ جفافاً، أريدك سيدة مجتمع مثقفة، مثل والدتي».

أخذ جرس المسرح يرنّ معلناً بداية القسم الثاني من العرض. ترك ذقنها وهمس:

«مساء الخير يا سيلفي».

رأت الظلمة تغمره من جديد وأحست بعودة السيدة ليسكو الى جانبها. لمست ذقنها حيث كانت يده منذ دقائق قليلة، شاعرة بالدماء تتدفق الى وجنتيها. انه يشدّد على ثقافتها لأنها ستصبح زوجته، طردت هذه الفكرة بسرعة من ذهنها ثم رفع الستار للمرة الثانية واستغرقت مجدداً في مشهد الأمير يوقظ الاميرة الراقدة في قصرها.

في الليلة التالية، رأت توم ترافرز في المسرح، يمتهي الاناقة، جالساً قرب شاب من عمره وفرحت لأنه لم يصطحب فتاة معه. استدارت نحو السيدة ليسكو وحاولت ان تقول لها بالفرنسية:

«هذا الشاب هناك، انه صديق لي، اريد ان اكلّمه، هل تفهمين؟».

فهمت السيدة ليسكو لكنها رفضت طلبها بشدة، فراحت سيلفي تفسّر لها ان انطوان يعرف توم وقد أعطاه بطاقات مجانية للدخول، نفد صبرها في النهاية وهتفت بصوت غاضب:

«لماذا لا استطيع مصافحته؟».

بدا الارتباك على السيدة ليسكو.

«سيغضب السيد على ذلك».

«لا هذا غير صحيح».
ونهضت بسرعة متوجهة نحو الشاب.
«توم! كم انا سعيدة لرؤيتك».
نظر اليها بدهشة، فهو لم يعرفها بهذه الثياب. وتذكّرها عندما اخبرته بمغامرتها، وقف بسرعة متمتماً:
«اعذريني، لم اعرفك بهذه الثياب». ثم استدار نحو زميله وانها الفتاة التي اخبرتك عنها. كيف حال الكلب؟».
«لن تعرفه هو ايضاً، أصبح يشبه الكلب الحقيقي، لونه ابيض وبني، وسمّيته انطونيو، لكي أناديه طوني».
سمّته هكذا بسبب كراهيتها لانطوان، آملة انه لن يكتشف الأمر لأنها ادخلت اللهجة الايطالية في الأسم.
«هذا رائع... تساءلت مراراً عن أمرك، لقد بدا لي كل شيء غريباً. اعني...».
«فهمت قصدك، معك حق، يبدو الأمر غريباً، لكن عليّ العودة الآن».
«لكن متى استطيع مقابلتك؟».
«كل يوم عند العصر اتنزه مع طوني، غداً في بولانغرين حوالى الثالثة بعد الظهر».
في اليوم التالي ارتدت سروالا وقميصاً أبيضين، وخرجت مع السيدة ليسكو وطوني الى حدائق مونتي كارلو، مجتازين الكازينو الشهير، وللمرة الثانية، لم يعرفها توم لكنها رأته على الفور.
«مرحباً يا توم».
«لكن يا آنسة».
بدأت السيدة ليسكو بالاعتراض بينما يحاول طوني الاقتراب من الشاب.
«السيدة ليسكو، مرافقتي، لم تستحسن صداقتنا».
تقطب حاجبا توم ثم نظر الى الكلب هاتفاً:
«هذا طوني؟ لم اعرفه، تغيّر كثيراً عن آخر مرة».
كان لون الكلب بنياً وابيض كما وصفته سيلفي، ويصعب امر تحديد

السلالة التي ينتمي اليها، بالرغم من طول اذنيه، كان يشبه كلب الصيد، وقد عرف توم بالتأكيد، اذ راح يقفز حوله ويمسك سرواله بين أنيابه.
«كفى يا طوني، سيدة ليسكو، هل تستطيعين اصلاح السروال، اعتقد انه مزّقه قليلاً، وانا لست ماهرة في الخياطة»، ثم استدارت نحو توم واستطردت: «السيدة ليسكو معتادة على تصليح ملابس المسرح».
لكن توم شعر بعدوانية السيدة تجاهه فقال:
«الأمر غير مهم يا سيلفي».
توجهت نحو مقعد مخصص للمتنزهين:
«تعال نجلس يا توم، اخبرني ماذا حدث في العالم منذ ان انقذنا الكلب، فانا أعيش في عزلة الى حدّ ما».
كانا يتكلمان بالانكليزية فصعب على السيدة ليسكو متابعة الحديث واكتفت بالجلوس قرب سيلفي وعلى وجهها تبدو علامات الاستياء.
بدأت سيلفي بسرد قصتها معرّفة انطوان كصديق لوالدها، يساعدها في تحقيق هدفها لتصبح راقصة، ثم اضافت انه من الطراز القديم ولا يحبها ان تتنزه بمفردها.
«يبدو لي انساناً طيباً، لقد سمح لك بالاحتفاظ بالكلب وغفر لك غضبك ذاك الصباح».
ارتبكت سيلفي لذكرى الحادث وقالت:
«انه متساهل مع مزاجي الفني...»، ثم نظرت الى الشاب:
«لكن اخبرني عن احوالك... ستمدد اقامتك في مونتي كارلو؟».
«للأسف، يجب ان أعود، اني حزين لمغادرة هذا المكان الجميل، هل شاهدت الكارنفال في نيس؟ كان رائعاً».
بدأ توم يخبرها عن الكارنفال في كل تفاصيله، من المراكب المزيّنة بالزهور الى الالعاب التي نظّمت للمشاهدين، وسيلفي تنصت اليه بانتباه لاعنة انطوان في داخلها، كان بامكانه ان يأخذها الى الكارنفال لكنه كان مشغولاً بمارغريت... انتقل توم من أعياد نيس الى تفاصيل حياته الشخصية، كان موظفاً في شركة تأمين يعيش مع اهله في لندن وقلبه حر.
ثم نظر اليها بعينين حزينتين:
«لن نلتقي ثانية يا سيلفي؟ ستأتين الى لندن؟».

«لا، في الوقت الحاضر سأذهب الى باريس».
«باريس قريبة من لندن».
عاد بريق الأمل الى عينيه، لقد سمعت ان هنالك رحلات رخيصة تنظّم بين العاصمتين ثم ذكّرتها السيدة ليسكو بضرورة العودة الى المنزل فنهضت من مقعدها واستدارت نحو توم:
«وربما ترسل لي كلمة تخبرني عن وصولك بالسلامة، فلا يصلني أي بريد».
كانت تفكر بوالدها، فهو لم يرسل لها اي شيء حتى الآن.
«سأبعث اليك برسالة مفصّلة».
اعطاها عنوانه، ابتسمت ووعدته بارسال عنوانها في باريس.
«اذا احتجت لأي شيء، لا تترددي في الاتصال بي يا سيلفي».
قال هذه الكلمات بعفوية متسائلاً كيف يمكنه مساعدتها اذا لزم الامر.
«شكراً يا توم، اعرف الآن انك صديق استطيع الاتكال عليه».
«من يدري... ربما أراك ترقصين يوماً في احد المسارح الشهيرة».
«لم ابدأ تماريني بعد، لكن سأكتب لك عن حياتي الباريسية بالتفاصيل».
«سأنتظر اخبارك بفارغ الصبر».
افترقا بحزن، سيلفي الى سجنها برفقة السيدة ليسكو، وتوم حالماً ومسروراً لمراسلة بالرينا سيكلّل المجد اسمها في يوم ما.
«ستلتقين هذا الشاب ثانية؟».
«لا... انه عائد الى انكلترا».
بدا الارتياح على وجه السيدة ليسكو.
«واذن لن اخبر السيد دي ميريكور بهذه المقابلة».
كانت تخشى غضب انطوان الى اقصى حد.
«كما تشائين».
لم تر سيلفي ضرورة اخفاء الامر على انطوان بالرغم من عدم استحسانه للشاب.
استلمت اول رسالة من والدها بعد اسبوع، رسالة طويلة ومفصّلة... وصل الى البرازيل برفقة بيدرو وما زالا يتجولان من مدينة الى اخرى

وسيرسل لها عنوانه حين يستقر.
كانت رسالة متفائلة ومليئة بالآمال لكن سيلفي لم تلمس فيها شيئاً واقعياً، فهي معتادة على حماس والدها... كم هو بعيد عنها، تملّكها الحزن، فهي ايضاً لم تحقق آمالها حتى الساعة وتشعر بالوحدة خاصة بعد رحيل توم.
نظرت الى النافذة لترى نهاراً مشرقاً في الخارج، فتحوّل حزنها الى غضب واستدارت نحو السيدة ليسكو لتنبئها انها ستتنزه، ولوحدها غير مبالية بأوامر السيد دي ميريكور... عندما سمعتها تقول لها انها سترافقها الى قاعة التمارين في المسرح.
نسيت حزنها وغضبها وقلقها بشأن فرانسيس ونهضت بسرعة البرق للّحاق بمرافقتها. ارتدت ثياب الرقص المخصصة لها، دخلت قاعة التمارين وبدأت بتمرين جسدها الذي اعتاد الكسل، ثم استدارت دورة كاملة على قدمها وراحت تلتوي وتنثني مستسلمة لنشوة الرقص من جديد...
توقفت فجأة... رأته ومعه رجل آخر، ينظران اليها بصمت، عرفت فيما بعد ان الشخص الذي يرافق انطوان، هو مدرّب الفرقة، انه نحيل ذو قامة متوسطة وشعر اشقر... ظلّت مسمّرة مكانها تنظر اليها لاهثة.
«حان وقت تدريبك يا سيلفي، انك تتعبين بسرعة».
«انتظر ذلك بفارغ الصبر».
«سنبدأ اذن على الفور».
استغرق التدريب ساعة كاملة بحضور الرجلين. كما توقّعت، كان انطوان استاذاً ناقداً ودقيقاً للغاية أعجبت سيلفي بخبرته في هذا المجال، وهو بالذات ليس براقص، كان اذا لزم الامر يعلّمها الحركة والخطوة المناسبة.
عند نهاية الساعة قال لها انها ستتمرّن في كل صباح في الوقت ذاته مع استاذ الباليه ثم خرج بدون اي كلمة تشجيع او استحسان.
استدارت نحو استاذها وهمست بحزن:
«ولا اعتقد اني رقصت جيداً، استطيع البقاء لمتابعة التمارين لوحدي؟».

«لا يا آنسة، لا يجب ارهاق نفسك، ولا تيأسي، تركت التمارين منذ وقت طويل ولديك كل المؤهلات لأن تصبحي نجمة لامعة».

قال ذلك بلهجة انكليزية غريبة.

استعدت فرقة باليه كوسموبوليت للرحيل الى باريس، وكان اغلب اعضائها من الفرنسيين ينتظرون العودة بفارغ الصبر.

أما سيلفي، فكانت تنتظر الرحيل بمشاعر متناقضة. لم تستلم رسالة أخرى من والدها وتساءل كيف سيحصل على عنوانها في العاصمة الفرنسية. قال لها انطوان انها ستواصل التمارين في باريس، وكانت التقنية التي اكتسبتها بفضل السيدة ليسكا، تعود اليها رويداً رويداً، معيدة معها ثقتها برقصها، لكن هل يعتبرها انطوان جاهزة للظهور مع فرقته؟

قيل لها انها ستسكن في شقة استأجرها انطوان في جزيرة سان لويس وهي من اقدم احياء باريس، هنالك خادمة تشرف على ادارة المنزل السيدة كوربيه بالتأكيد نسخة اخرى عن السيدة ليسكو! بين انطوان وخادمته تخيّلت سيلفي حياة مملّة وحزينة، وأملت بقضاء القسم الكبير من وقتها في المسرح.

كانت تخشى قليلاً رحيلها الى باريس، لقد تعلّقت بالامارة الجميلة، فقررت الكتابة لتوم ترافرز لدى وصولها وأملت انه سيفي بوعده ويجيب على رسائلها.

لم يتبق سوى يومين للرحيل عندما أتت السيدة ليسكو الى غرفتها لتخبرها ان السيد انطوان يرغب في مقابلتها صباح الغد في تمام الساعة التاسعة.

«لماذا؟» كان القلق ظاهراً في صوتها.

هزّت السيدة ليسكو كتفيها:

«لم يبح بأسراره لي، يريد مقابلتك، ومن دون الكلب».

رمقت الكلب بنظرة اشتباه، وكان حدسي طوني يحس بكراهيتها له، فراح ينظر الى كاحلي المرأة النحيلين، راغباً بعضهما لكنه خشي غضب سيلفي.

«ارجوك ارتدي ملابس انيقة ولا تنسي قبعتك».

«قبعتي؟ لا احب ارتداءها».

«انها ضرورية، فهمت ان المناسبة مهمة».

كانت تكره القبعة البيضاء التي اشترتها لها السيدة ليسكو، وتساءلت عن سبب مجيء انطوان، ربما سيأخذها الى نيس... لقد ملّت من هذا المكان الضيّق. عند الصباح، ارتدت تنورة وقميصاً بيضاوين ووضعت القبعة على رأسها.

عكست لها المرآة صورة فتاة مختلفة عنها تماماً، نظرت الى نفسها باشتباه ناعمة على سروالها المرمي بجانب السرير.

كان انطوان ينتظرها في قاعة الجلوس، يرتدي زياً رمادياً، بكامل الاناقة، وذكّرتها ملامحه الارستقراطية بالمدير الجدي الصارم، فتساءلت اذا كانت قد ارتكبت خطأ ما... وقفت الى عتبة الباب، محاولة السيطرة على ارتباكها المفاجيء...

«صباح الخير يا آنسة».

أحست بعينيه تفحصانها بالنظرة الناقدة المألوفة.

«صباح الخير يا سيدي».

تقدمت الى وسط القاعة واعتلت شفتي انطوان ابتسامة ناعمة لطّفت ملامح وجهه القاسية.

«تستطيع الذهاب الآن؟».

«الى أين؟».

«الى مانتون يجب انهاء بعض المعاملات قبل الرحيل الى باريس، سنذهب الى دار البلدية».

«انها في مانتون؟ هنالك شيء يتعلّق بأوراقي؟».

«نعم، بشكل غير مباشر... هل نسيت اتفاقنا وشروطه؟».

كانت متوجهة نحو الباب الخارجي عندما سمعت كلماته، فتسمّرت مكانها واستدارت ببطء لتنظر اليه بعينين مذعورتين... لا، لم تنس شروطه، لكنها تناستها، اعتقدت أنّ زواجها لن يتمّ الاّ بعد وقت طويل، تكون قد اكتسبت خلاله الخبرة الكافية، وتساءلت مراراً بعد ذلك العشاء اذا كان حقاً جاداً في عرضه...

لم يبال بها، ولم ينتبه حتى لوجودها، قاضياً فراغ وقته مع مارغريت دابليه، وهي مؤهلة اكثر منها لتصبح السيدة دي ميريكور...

«لكن... لا اريد ان اتزوج الآن... ألا يمكننا تأخير الموعد؟».

«ستتزوج الآن يا سيلفي. يجب انهاء المعاملات قبل مغادرة الامارة...».

هزّت رأسها، تبسّط باصابعها المرتجفة قماش تنورتها، شاعرة بتلاحق انفاسها على غير عادة.

«لم اتوقّع هذه السرعة...».

«نسيت انك لا تملكين عقداً ولا رخصة عمل؟ هذا الزواج من مصلحتك يا سيلفي، يشكّل لك الحماية الكافية التي تحتاجينها».

أحست بتسارع خفقان قلبها وشحوب لونها... لا يمكنها ان تقبل بهذا الارتباط الذي يفرضه عليها فرضاً، سدّدت الى وجهه الوسيم نظرة جانبية، انطوان دي ميريكور، الارستقراطي الفرنسي... ليس سوى غريباً بالنسبة اليها...

«لا بد من ايجاد حل آخر، انت لا تقصد حقاً الزواج مني؟».

نفد صبر انطوان وكانت نبرته جافة عندما اجابها:

«تحدثنا عن الحلول الاخرى خلال عشائنا، لا فائدة في تكرار ما قيل سابقاً» واردف بصوت أنعم: «ولماذا الخوف يا سيلفي؟ كل ما يقتضي فعله هو توقيع العقد، عقدنا... لا اكثر ولا أقل، وبعد ذلك تنسين الامر نهائياً...».

«اتمنّى نسيان هذا اليوم منذ الآن...».

«وانا ايضاً...».

لدهشتها، استاءت من ردّه، من حقه ان يكون فخوراً بأرستقراطيته، لكن هي ايضاً فخورة بعراقة عائلتها... خاطر اجدادها بحياتهم من اجل الحرية وهو الآن يطلب منها التخلّي عن هذه الحرية... ستضحي بها من أجل مهنتها، ثم سبق ووعدته بالزواج وعائلتها ممن يوفون بوعودهم...

«حسناً، اذا كان مجرد توقيع يضمن لك بقائي في المهنة، سأنفذ طلبك ولو اني متأكدة من عدم ضرورة هذه الوقاية...».

خرجت من القاعة رامية برأسها الى الوراء، خروج المقاتل المتأهب لمواجهة عدوه. تبعها انطوان متمالكاً انفاسه من الضحك. لم يكن أمر اخضاعها سهلاً فهي لا تخلو من قوة الارادة والشخصية، سيكون عملاً

مثيراً بدون شك... طافت هذه الفكرة بذهن انطوان، وهو يفتح لها باب السيارة بتكلّف واحترام مبالغين، اما سيلفي فكانت تحاول التفكير بموضوعية ولم تر بريق المرح في عينيه.

في الطريق الى ماتتون عادت الى الموضوع نفسه.

«لا أرى ضرورة في كل هذا».

«ستريتها فيما بعد...».

«لكنه زواج شكلي فقط... اليس كذلك؟».

«قلت لك ذلك سابقاً... الاّ اذا اردت...».

«واردت ماذا؟».

قاطعته محاولة السيطرة على اختلاج صوتها.

لم يرد على سؤالها واعتلت شفتيه ابتسامة غامضة، جالت في خاطره قناعة ثابتة بانه يستطيع ان يحصل منها على كل ما يرغب فيها لو قرر ذلك... لم ترفض له اي امرأة شيئاً حتى الآن... لكنها لم تزل طفلة...

احسّت سيلفي بما يدور في خلده، وضغطت على شفتيها من شدة الغضب، هل يعتقدها ستقع في حبه؟ فاذا احبّت يوماً، لكن بدا لها الامر مستحيلاً، ستحب راقصاً او شاباً مثل توم ترافرز، ليس هنالك شيء يجمعها بهذا الرجل الجالس قربها، انه انسان متعجرف ومغرور ولا يحرك فيها الاّ الخوف والكره...

قطعا شواطىء مونتي كارلو محتشدة بالسياح، كالعادة، لكنه لم يكن يوماً عادياً بالنسبة الى سيلفي، انه يوم زفافها...

أوقف السيارة على مسافة أمتار قليلة من دار البلدية وفتح لها الباب بصمت، ثم تقدما جنباً الى جنب الى داخل المبنى.

نظرت الى ثيابها باستياء، كانت بيضاء على الاقل... فهو لم يقدّم لها حتى باقة زهور، يصرّ على الشكل المهني للزواج، وبدأ موقفه باثارة اعصابها...

دخلت الصالة الكبيرة التي سيتم فيها زواجها المدني مع انطوان تتأملها بعينين حالمتين... عُلّقت على احدى الجدران لوحة زيتية تمثل مشهد زفاف... العروسان على ظهر فرس طائران الى شهر العسل، محاطان بالأهل والاصدقاء يقدمون لها الهدايا... تأملت كل ذلك وهي التي لم

يكن لها شهر عسل ولا حتى هدية. . .

تنهدت بحزن. . . لو كان والدها موجوداً معها. . . وساورها احساس بالوحدة، لم يكن لديها اي صديق في القاعة، رأت الكاتب بالعدل وراء مكتبه وعقد الزواج محضّر أمامه. . . كان هنالك ايضاً شاهدان، لم ترهما من قبل، وانطوان يقف بجنبها، هو ايضاً غريب بالنسبة اليها.

عاد اليأس يتملّكها، باندفاع مجنون استدارت نحوه متمتمة:

«لا. . . أستطيع يا سيدي. . . .».

وضع ذراعه حول كتفيها، وهمس في اذنها:

«لا تستطيعين التراجع الآن يا سيلفي. . . .».

اعترتها رجفة خفيفة لملمسه، وبدأت تحس بارتباك لشدّة قربه منها، لكنها لم تجرؤ على الابتعاد، ثم سمعته يقول للكاتب بالعدل:

«عروستي مضطربة قليلاً، انها متأثرة وهذا شيء طبيعي».

متأثرة! كيف يمكنه التكلم بهذه البرودة، انه الشيطان بنفسه. رأت في احدى زوايا القاعة باقة كبيرة من الليّلك، تأملتها بعينين حالمتين مفكرة انها تفضل الورود عليها.

ثم، وبالفرنسية، ردّدت الكلمات التي قالها كاتب العدل، وسمعت انطوان يفعل الشيء نفسه وبدت لها العبارات خالية من أي معنى، فهي لم تكن واعية الا على أمرين: باقة الليّلك في الزاوية، وقبضة انطوان القوية على ذراعها. . . ثم وضع المحبس في أصبعها. . . نظرت اليه مخدّرة. . . رمز الخلود. . . رمز الارتباط بانطوان الى الأبد. . .

وقّعت اسمها وبعد ان هنّأهما الكاتب بالعدل، راح ينظر اليها وكأنه في انتظار شيء معين. . . فجأة، انحنى انطوان وعانقها. . . سرت قشعريرة في كيانها وهي تشد عزيمتها للسيطرة على اضطراب نفسها، لم تتوقع هذا العناق، بعكس الكاتب بالعدل لكنها رأت نظرة الدهشة التي كان يرمقها بها، فهو لا يرى انسجاماً بين هذا الرجل الانيق وتلك الفتاة المرتجفة خوفاً.

تركت انطوان يقودها الى الخارج، بعيداً عن هذه القاعة، بعيداً عن رائحة الزهور القوية، وبدت شاحبة اللون مثل زهرة الليّلك، التي شغلت معظم اهتمامها طوال معاملة الزواج. . . وكانت على وشك الاغماء عندما سدّد اليها انطوان نظرة قلقة. . .

«انتهى كل شيء الآن يا سيلفي، ستنسين كل ما حدث، تريدين كوباً من الماء؟».

«شكراً انها دوخة بسيطة، لم. . . لم اكن مهيأة لـ. . .».

ماتت الكلمات على شفتيها، فهي لم تكن مهيأة لعناقه ومدى تأثيره عليها، ثم تمتمت:

«اعني. . . الزهور. . . كانت رائحتها قوية».

«الزهور؟ لم ار زهوراً».

«كانت في احدى الزوايا».

بالطبع توقيع العقد شغل كل اهتمامه وهي تتساءل اذا كانت في حلم ام في يقظة، واردفت:

«زهور الليلك، ذكرتني بالموت».

«تعالي يا صغيرتي، لا داعي لكل هذا التشاؤم. . .».

ساعدها على قطع الشارع وأخذها الى مقهى صغير طلب لها كوباً من الماء ولنفسه فنجان قهوة. . . جلس قبالتها متأملاً دعاية عن فرقة الكوسموبوليت علّقت على حائط المقهى.

سدّدت اليه نظرة جانبية، لقد تغلّب على مقاومتها بمهارة مميّزة وليست مستعدة لمسامحته. لفت انتباهها شاب وفتاة جالسان قربها، ايديهما وعيونهما متشابكة، في اصبع الفتاة محبس فهي هما ايضاً تزوجا في دار البلدية، لكن بالتأكيد بدوافع مختلفة، تزوجا بدافع الحب. . .

شربت ماءها واضعة الكوب بعنف على الطاولة، فنظر اليها بدهشة:

«هل تشعرين بتحسن؟».

«نعم، الحمد لله. . .».

«ما الذي يسرّك؟». لقد لاحظ بريقاً في عينيها وهي تنظر الى الطاولة المجاورة. . . أشارت برأسها نحو العروسين فابتسم ابتسامة ساخرة:

«آه الحب. . . هل تحسدينها؟».

«ابداً، اذا نظرت الي بهذه الطريقة سأنفجر من الضحك بالتأكيد».

لكن في اعماقها، كانت تتمنّى ذلك وهي تكره النظرة الحيادية التي يرمقها بها.

«اطمئني، لن ازعجك الى هذا الحد. . . وقبل ان انسى. . .».

توقف عن الكلام وأمسك بيدها مسترداً المحبس من أصبعها، فتملّكها حزن كبير لم تتمكّن من تفسيره وسألته:

«هل استطيع الاحتفاظ به؟».

«لماذا؟» رفع حاجبيه بدهشة.

«لا اعرف بالضبط، ربما كتذكار...».

نطقت هذه الكلمات بصوت خافت، انه اوّل خاتم تملكه واستاءت من الحاحه على استرجاع المحبس...

«تذكار؟ في حال نسيت، لا مكان للعاطفة في زواجنا يا سيلفي».

«بالطبع... انه مجرد توقيع عقد... عقدنا، لكن اريد الاحتفاظ بالمحبس، انه الآن لي انت وضعته في اصبعي...».

احست بعينيه مركزتين عليها ولمحت فيهما تلك النظرة التهكمية الحيادية الملازمة له.

«سأعيده لك، لكن لن تضعيه في أصبعك بدون اذني...».

«لن أفعل ذلك...».

وضعت الخاتم في حقيبتها متسائلة عن الدافع الذي جعلها تحتفظ به، ربما لأنه الرمز الوحيد لارتباطها به.

«انه خاتم بسيط، لا يمثّل قيمة كبيرة».

قال لها ذلك ثم نظر الى ساعته وكأنه ملّ من الموضوع ثم اضاف:

«يجب ان نعود، سيبدأ وقت تمارينك ولدي موعد عاجل...».

نهضت بطاعة، وعادت ببصرها الى التلّة المكلّلة بشجر السرو امامها، كان باستطاعته تخصيص ساعة من وقته الثمين لها... يتجولان في البلدة او على الاقل، يدعوها الى الغداء... انه يوم زواجها وهي لا تعتقد انها ستتزوج مرة اخرى...

«ربما الاحتفال بالمناسبة غير لائق، لكن توقيع العقود ينتهي عادة بغداء، اليس كذلك؟».

«تريدين ان آخذك الى الغداء؟».

«لا اريد شيئاً، لكن معاملتك للزبائن جافة وخالية من اللياقة، لم تقدّم لي حتى باقة زهور...».

توقعت ان تشعل سخريتها نار غضبه، لكنه ضحك وقال لها ببريق من

المرح في عينيه:

«لا اسامح على اهمالي، بصراحة لم افكر بالامر، وغاب عن ذهني ان الجنس اللطيف يجب ان يهتم به، لكن سأعوض عن خطأي تجاهك واتصل لالغاء موعدي، ثم آخذك الى مطعم نتناول فيه غداءنا، سأعود على الفور...».

جلست من جديد وعلى شفتيها الجميلتين ابتسامة مترددة... الجنس اللطيف. ما قصده؟ اذا كان الاهتمام بالجنس اللطيف يعني المزيد من العناق، فهي ترفض هذه العناية... ثم طردت هذه الافكار من ذهنها، لا داعي للقلق من عناقه، سيحتفظ بنفسه لمارغريت، شعرت باضطراب غريب لهذه الفكرة، وتساءلت اذا كانت قد تركت حقاً عالم الطفولة البريء وراءها، مدركة فجأة انها لم تستحسن ابداً فكرة عناق انطوان لمارغريت، هل بدأت تشعر بالغيرة؟ وعرفت سيلفي ان حياتها مع هذا الرجل لن تكون سهلة.

٤ـ ما زلت فتاة صغيرة!

انطلق بها انطوان على الطريق الساحلية المؤدية خارج مانتون، كانت طريقاً ضيقة ووعرة. قطعا المراعي الخضراء المنتشرة فيها قطعان الماعز والخراف، وبعيداً عند الافق مزّقت قمم الجبال الشاهقة زرقة السماء... عاد اليها انطوان بمزاج مرح، راميا على المقعد الخلفي من السيارة سترته ونصف سنين عمره... وفعلت سيلفي الشيء نفسه بحقيبتها وقبعتها رامية معهما خوفها وقلقها... انها بعيدة الآن عن الذكريات المريرة وتخوفات المستقبل... كانا مثل تلميذين هاربين من المدرسة مصرّين على الاستمتاع بكل لحظة من حريتهما وشبابهما...

قادها نحو صخرة تطل على البحر، كانت سيلفي معتادة على هذا النوع من الرياضة لكنها فوجئت برشاقة انطوان في التسلّق... في الواقع، لم تدهش فقط برشاقته، كان بكمّيه المرفوعين وقميصه المفتوح على صدره، يبدو مختلفاً عن الرجل القاسي الذي كان يقف بجنبها في دار البلدية، او عن ذلك الطاغية المستبد الذي دعاها الى العشاء في نيس... ذكّرها بتوم ترافرز... وادركت سيلفي ان حنينها لتوم أخذ يتلاشى شيئاً فشيئاً... هل وجدت في زوجها الرفيق الذي طالما حلمت به؟ رفيقا لنزهاتها؟ لا... انها تحلم، عند المساء سيعود الى دور المدير الجيادي والصارم مجدداً.

وصلا الى مرجة خضراء على قمة الصخرة، وفاح عطر الصعتر والبلاّن.

«رياح الميسترال تعصف في هذه المنطقة، انها رياح قوية جداً لكن الشاطيء محمي بالصخور».

قال هذه الكلمات بنعومة وبلكنته الجذابة ذات الرنين الساحر.

«وانها تعصف ايضاً في البروفانس، رياح خفيفة حقاً».

ثم نظرت الى جواربها وهتفت: «ومزّقت جوربي بالعليق...».

«وانه نهار مشرق لا حاجة للجوارب يا سيلفي، لقد تحسّن الطقس والكثير من الشابات يخرجن من دونها الآن».

«وأكدت ذلك للسيدة ليسكو لكنها رفضت...».

ضحك انطوان:

«وانها تحاول ان تجعل منك سيدة مجتمع رفيع، ثم لا تنسى انها متقدمة في السن وما زالت افكارها من الطراز القديم».

«ولا، افكارها ليست من الطراز القديم فحسب، هي من أيام العصر الحجري يا سيد...».

وكادت تضيف: «وانت كذلك»، لكنها تمالكت نفسها.

احتمت بظل عليقة وخلعت جوربيها، ثم دسّتهما في حفرة قربها، آملة ان يعثر عليهما عصفور ليصنع منهما عشه. عادت حافية مسرورة بملمس العشب على قدميها، ورأت انطوان جالساً على صخرة يدخن سيكارته متأملاً البحر بعينين حالمتين... من تحتهما البحر، وفي الجهة المقابلة سلسلة الجبال... انهما معلّقين في الفضاء، هي وانطوان، بمفردهما... باستثناء تغريد قبرة يمزّق السكون. رمت سترتها على العشب، وباندفاع مجنون بدأت ترقص... انثنت وتلوّت مستسلمة لنشوتها، نسيت كل ما يحيط بها، ولم تر انطوان مستغرقاً في مشاهدتها، رقصت بقلب بهيج، بدافع حبها للحياة والحرية، أفاقت من شرودها على تصفيقه، كان ينظر اليها ببريق من الاعجاب في عينيه:

«لم اعرف أني سأحصل على عرض مجاني، والاّ جلبت معي ثوباً للرقص...».

فجأة تذكّرت انه مديرها واستاذها، جلست وبدا عليها الارتباك.

«سحرت بجمال المكان... نسيت اني...».

«ونسيت ماذا؟... اني استاذك؟» قاطعها بابتسامة ساحرة على شفتيه، «وكان رقصك عفوياً يعبّر عن الشباب وحب الحياة، رقص يبعث البهجة في القلب».

«مثل أول مرة شاهدتني فيها؟».

«في تلك الليلة...؟ لا... ليلتها كنت مختلفة تماماً يا سيلفي... كنت السحر نفسه، آتية من بلاد الجن... مثل ملكة البجع».

«اوجيت في بحيرة البجع؟».

«لا... بحيرة البجع ليست العرض الوحيد الذي تمثّل فيها هذه الطيور».

اجابها بصوت خافت ورأت قناع الحزن يغطي وجهه، فتمتمت:

«اعتذر...».

قاطعها بجفاف:

«لماذا الاعتذار؟».

«لأني ذكّرتك بشيء يحزنك... ولا أريد أن أفسد هذا النهار الجميل...».

نظر اليها بعينين مدهوشتين وقال بصوت ناعم:

«انك حقاً فتاة خطيرة، تقرأين أفكار الغير، سأكون أشد حذراً في المستقبل».

اختلست نظرة اليه لكن وجهه كان خالياً من التهكم، ورغبت بمعرفة ما يجول في ذهنه...، فسألته بصوت بريء:

«تعتقد حقاً ان الحذر ضروري؟».

«تفرّقنا سنين كثيرة يا سيلفي... ربما أبوح لك بأسراري بعد بضع سنوات، لكن حتى الساعة، لا أرغب بالكشف عن قلبي لأي شخص ما، وفي الوقت الحاضر أرفض افساد براءتك باعترافاتي المريرة».

«انك تتكلم بالالغاز، لم أعد طفلة».

«ما زلت فتاة صغيرة بنظري يا سيلفي».

عادت ببصرها الى البحر المنبسط تحت قدميها... تخيّلته منذ لحظات قصيرة قريباً منها، لكنه الآن يشدّد على فارق السنين بينهما، يعيدها الى مكانها، وما هو مكانها بالضبط؟ تزوّجها هذا الصباح، زواجاً شكلياً، لكنها ترغب بتوطيد الصداقة بينها وتجاوز علاقة الاستاذ بتلميذته، فهي وحيدة وتحتاج الى صديق، وأدركت ان مشاعرها تجاهه بغاية التناقض، تريد رفقته ومصادقته، لكنها ترفض حبّه...

دارت هذه الافكار بذهنها وسمعته يعاتبها بصوت خافت:

«انك حزينة من جديد... هل تشعرين بالجوع؟» نظر الى ساعته ثم أضاف: «لكن وقت الغداء ما زال بعيداً...».

«دعنا نجلس قليلاً في هذا المكان... تبدو هنا الاشياء مختلفة، هنالك شيء يتجاوز الجمال بحد ذاته...».

في الحقيقة، كانت تخشى العودة، تخشى أن يعودَ ثانية الى السيد دي ميريكور الحيادي، تخشى على تلك الألفة التي سادت بينهما ولو لوقت قصير...

تمدّد على العشب وتثاءب، ثم نظر اليها مبتسماً:

«اعذريني، سهرت كثيراً في الليالي الماضية، وهذا الهواء النقي يحملني على النعاس...».

«اضطجع قليلاً، واستفد من قيلولة قصيرة ريثما يحين وقت الغداء...».

رأت بهذه الدعوة طريقة للاحتفاظ به الى جانبها، لكنه سألها رافعاً حاجبيه:

«ماذا تفعلين خلال هذا الوقت، لا يبدو عليك النعاس...».

«سأكون وسادة لك، كنت دائماً أفعل ذلك مع والدي عندما نذهب رحلات طويلة ويتغلّب عليه التعب...».

وضعت سترتها على ركبتيها وهمست بصوت ناعم:

«تفضّل...».

رأته يرمقها بنظرة غريبة، خشيت للحظة قصيرة ان يرفض دعوتها، ثم، لدهشتها رأته يتمدّد ملقياً رأسه في حجرها ويقول بنبرته الساخرة المألوفة:

«تقومين بدور الزوجة المثالية...».

«لا... انك مخطىء، اني ادفع سلفاً الغداء الشهي الذي ستقدّمه لي».

ابتسم ابتسامة ناعمة واغمض عينيه ليستغرق بعد لحظات قليلة بنوم عميق.

تأملته بعينين حالمتين وهي تفكر انها المرة الاولى والاخيرة تجلس فيها مع

انطوان في مكان منفرد ووادع كهذا... لا يجالسهما سوى النسمة العليلة المعطّرة بالصعتر والبلّان، ودفء الشمس الربيعية منصبٌ عليهما، حتى القبّرة أوقفت غناءها... لم تعد تسمع سوى دقات قلب الرجل المستلقي بجانبها.

كان انطوان مستغرقاً بنوم وديع... وبدا لها أصغر بعشرين سنة...

اختفت من وجهه ملامح الغرور والتعجرف وأعجبت باهدابه الطويلة والكثيفة، لمست بيد مرتجفة شعره الاشقر وكانت الشمس ترسل فيه تموجات ذهبية... شعره ناعم مثل شعر الاطفال، طافت هذه الفكرة بذهنها ورأت فيه الطفل المعجب بوالدها... في ذلك الحين كان السيد دي ميريكور عاطفياً وبريئاً... ارتسمت على شفتيها الجميلتين ابتسامة مترددة وهي تفكّر بتقلّبات الزمن الغريبة، وضعه القدر على طريق ابنة مينيللا، صدفة سعيدة لها، لكنها اكثر من مجرد صدفة. كتب لها باللقاء، تساءلت اذا كان يشعر بالشيء نفسه، ربما هذا ما حمله على الزواج منها، فلا تستطيع ان تضيع من بين يديه مثلما أضاع مينيللا.

بدأت تشعر بالبرد وبتشنج ساقيها لكنها لم تجرؤ على التحرك خشية ايقاظه، مرّ وقت قصير قبل ان يفتح انطوان عينيه وينظر اليها بعينين غريبتين...

«مينيللا! وجدتك أخيراً...».

نطق هذه الكلمات بصوت خافت، فجأة عاد الى صوابه وجلس بسرعة معتذراً:

«كنت أحلم...» ثم هتف: «كان يجب ان توقظيني من قبل، لقد استغرقت في النوم، تشنجت ساقاك يا صغيرتي».

بدأ يدلّك ركبتيها بانامله الرقيقة فأحست بالدماء تتدفق الى وجنتيها وهي تحاول السيطرة على ارتباكها.

«اني... بخير، لا داعي لكل هذا». ثم أضافت بسرعة: «كنت مغرماً بوالدتي؟».

أوقف التدليك وابتسم بنعومة:

«أعتقد ذلك، لكن رونيه بالتأكيد كان واقعاً في حبها، سن المراهقة سن عاطفي وغالباً ما ينجرف الشاب بمخيلته».

«لو تزوّجت والدتي كنت اليوم ابنتك».

«اذكرك اني كنت طفلا في ذلك الحين ولم ابلغ سن الزواج، كانت مينيللا تكبرني بسنوات عدّة». أجابها بنبرة جافة ثم اردف بابتسامة وبريق في عينيه:

«كان عليّ بانتظار ابنتها...».

«تريد ان تقنعني ان حبك لوالدتي كان حباً افلاطونياً؟».

اشعل سيكارة قبل ان يجيبها:

«سؤالك وقح وسخيف يا سيلفي... لكن لماذا تعيدين ذكرى مينيللا الآن؟».

«كنت تبدو في نومك صغير السن، وعندما استيقظت همست اسمها...».

«حقاً؟ لا أسامح على شرودي، لكن كبرت الآن يا سيلفي، وتركت أحلام الشباب ورائي... لم أعد اتذكر عدد اللواتي تلين مينيللا في أحلامي...».

صدمت سيلفي لسخرية وقسوة كلامه، انه يحاول دفن ذكرياته بتعدّد مغامراته العاطفية... كان على حق عندما ذكّرها ان السنين تبعد بينهما، فهي تبعده أيضاً عن براءة طفولته.

«وصديقك... أعتقد انه توفي اليس كذلك؟».

حاولت تغيير الموضوع لاعادة جو الصداقة الذي ساد بينهما.

«نعم... توفي قبل ان تحطّم الحياة والنساء أحلامه...».

تذكّرت انه سألها اذا كانت تعرف موسيقى رونيه لوكلير:

«كان يؤلف موسيقى، أليس كذلك؟».

«نعم، موسيقى نادرة الجمال، من بين مؤلفاته مقطوعة ما زلت أبحث عن الباليرينا المناسبة لعرضها، باليرينا مثل مينيللا، هي التي اوحت اليه المقطوعة».

«وهل... وجدتها الآن؟».

نظر اليها طويلاً قبل ان يجيب:

«لا اعرف بعد اذا احسنت الاختيار... اخشى تأثري بالشبه بينك وبين مينيللا، عليك ان تبرهني لي العكس، نجاح افتتاحية رونيه اغلى

شيء في حياتي، وهو يتعلّق بك».

«انها مسؤولية كبيرة».

«بالتأكيد».

اكتفى بنطق هذا الكلمة وراح يحدّق بالأفق البعيد، مفكراً بتحقيق حلمه...

أمر عجيب، كيف يمكن لرجل مثله ان تغذيه الاحلام؟ فهمت الآن اصراره على راقصاته بعدم الارتباط، لكن من اين له هذه الطبيعة القاتلة؟ الفرنسيون مشهورون بسخريتهم وتفكيرهم الواقعي... لديه من السخرية ما فيه الكفاية، لكن هنالك شيء في هذا الرجل لم تستطع فهمه، سرت قشعريرة خفيفة في كيانها، فهي غير واثقة من انجاز ما يتوقعه منها، انه يطلب المعجزات... بدا لها في نومه اكثر انسانية، رأت فيه صديقاً، وربما حبيباً... لكنها ادركت ان حياته منقسمة الى قسمين، الاول لمارغريت وغيرها، والثاني هو القسم الروحاني فيه، مخصّص لها... فهو حريص على ابقاء مسافة بينهما، مصرّ ان يبقى معلّماً لها وليس زوجاً... في اي حال هذا مطلوبها، أليس كذلك؟ اكّدت له مراراً انها ستخصص حياتها للرقص، ولكن... اخذت تراقب ملامح وجهه النبيلة، العينين الحالمتين والشفتين المرسومتين باتقان، وقد لطّفت قساوتها ذكرى صديقة المتوفى... قال لها انها ما تزال طفلة... لكن احداث هذا النهار جعلتها تشعر انها كبرت بسرعة، عليها ان تفعل شيئاً، ان تهرب من هذا المكان الرائع ومن هذا الرجل الغريب قبل ان تحترق اعصابها تماماً:

«اني جوعانة يا سيد...».

نهضت بسرعة وأفاق من شروده على صوتها.

«وانا كذلك...».

عادا الى السيارة، وراحا يرتّبا منظرهما، سيلفي تنفض الغبار والاعشاب عن سترته وهو يسرّح شعرها موافقاً معها على ترك القبعة المكروهة في السيارة...

زوجان عاديان يهتم كل منهما بالآخر... طافت هذه الفكرة بذهنها واعتلت شفتيها الجميلتين ابتسامة ساخرة.

«الى اين ستأخذني؟».

«الى فندق في بوليو سور مير انها منطقة معروفة بطعامها الشهي، لكن لا اعتقد انك ستأكلين كثيراً...».

«لا تقلق، سأفعل، ارى انك تحب الكمال في كل شيء، حتى فيما يتعلّق بالطعام...».

«نعم، اني احب الحياة، والنساء والراقصات».

قرّرت الاستمتاع بيومها، تاركة افكارها السوداء على قمة الصخرة، وراحت تداعبه وتستفزه عمداً:

«نحن الراقصات، لا نعتبر نساء، مارغريت تمثّل هذه الفصيلة، وهي من دون شك تليق بذوقك».

بدا عليه الارتباك من ذكر الفتاة الفرنسية.

«انك طفلة وقحة». لكن صوته كان خالياً من القسوة. «وعندما تتكلمين عن مارغريت، قولي الآنسة دابليه، والافضل ان لا تتكلمي عنها اطلاقاً».

«اعتقد اني فهمت قصدك».

«حقاً؟ كما افضل ان تناديني مايسترو، الفرقة تطلق عليّ هذا اللقب».

«نعم يا مايسترو كما تشاء يا مايسترو».

لكن انطوان لم يستجب لمرحها، فسألته:

«هل تزوجت من قبل؟».

«هذا ليس من شأنك».

«انك مخطىء، لأن في هذه الحال تكون متزوجاً من امرأتين».

«تستحقين الضرب على كلماتك».

«لكني تجاوزت سن المعاقبة بالضرب».

«تابعي استفزازك وسأبرهن لك العكس...».

«لكن... مايسترو... انه يوم زفافنا... أعاقب لأني ابدي اهتمامي بزوجي؟».

قالت هذه الكلمات وقد تسلّل المرح من عينيها الى نبرات صوتها.

«لم اقرّر بعد البوح لك باسرار حياتي...».

«قلت لي ذلك من قبل... انك حريص على اذني الغريبتين».

«وماذا أصابك يا سيلفي؟ منذ أن صعدنا في السيارة وانت في حالة استفزاز».

«انه يوم عطلة، أحاول فقط تلطيف الجو».

كانت الطريق التي يسلكانها ضيقة ووعرة جداً، فبدأ القلق عليها:

«انه مكان خطر».

«هذه اقصر طريق تؤدي الى بوليو، انت خائفة؟».

«لا... ابداً».

نظرت الى الوادي العميق تحتها، لا، لن تبوح بخوفها له.

«لا تقلقي، اني معتاد هذه الطريق... اتيت الى هنا من قبل».

«برفقة مارغريت؟ لا أظنها استمتعت الرحلة...».

«الآنسة دابليه» وشدّد في لفظ الكلمتين مستطرداً: «معك حق لم تستمتع بها...».

«وانا كذلك».

«انت طلبت ان انزّهك!».

«بالضبط... لكن لا استهوي المخاطرة على طريق مثل هذه...».

«اكّدت لي انك لست خائفة منذ لحظات».

«اعني... الطريق في غاية الخطورة».

«سنصل بعد قليل... حتى الآن تمكّنت من السيطرة على اعصابك واحسنت السلوك، ستبدأين الآن بالتخوف؟».

«لم اصرخ بعد، اذا كنت تقصد ذلك... هل كانت مارغريت تصرخ؟».

«ما حدث بيني وبين الآنسة دابليه ليس من شأنك...».

تذكر كيف أمسكت مارغريت بذراعه من شدّة خوفها، وكاد يفقد توازنه وتقع الكارثة الكبيرة.

«معك حق، هذا ليس من شأني... وغير لائق مني أن أحرج موقفك، ثم نسيت أنه حديث لا يناسب اذني الطاهرتين».

تمالك نفسه من الضحك وقال لها مقطباً جبينه:

«راقبي لسانك يا سيلفي، والا ستحرمين من الغداء».

«تحرمني حقاً من ذلك؟».

«أكون صارماً وبلا قلب عند الحاجة».

«أعرف ذلك».

«حقاً؟ آه، تقصدين ما حدث في دار البلدية... لكن كان ذلك ضرورياً... لو تكفين عن استفزازك لتتكلم عن اشياء جديدة».

«أية اشياء؟».

«حدّثيني عن الكتب التي تطالعينها، هل وجدت فيها شيئاً أثار اهتمامك؟».

«لا يا مايسترو، لن نتكلم عن هذا خلال نزهتنا، اعدك باني سأدرس بكل جدية في الايام المقبلة، لكن اليوم... يوم زفافي!».

«اذكرك ان شروط اتفاقنا تحدّد من ملذات الزواج العادية، حتى لو استفدت من قيلولة قصيرة بقربك».

نطق هذه الكلمات بسخرية وسدّد اليها نظرة جانبية خاطفة، تحاشت ان تلتقي بعينيه شاعرة بالدماء تتدفّق الى وجنتيها، وراحت تتأمل منظر الطبيعة أمامها:

«الكوت دازور منطقة جميلة».

كان اضطرابها واضحاً، ولم يتمكن انطوان من تمالك انفاسه عن الضحك.

«اخبريني عن البروفانس والكوخ الذي سكنته... الكوخ الذي...».

لم يكمل جمله لكن سيلفي لم تنتبه للأمر، بعد ملاحظاته المزعجة منذ لحظات، كانت مسرورة للتكلّم عن موضوع آمن وراحت تصف الكوخ وحياتها فيه مع والدها... بعد ان انتهت من الشرح قال لها:

«لن استطيع ان آخذك معي الى باريس في الصباح، ستذهبين مع الفرقة في القطار... لا أريد أن تفتح الانظار علينا...».

«لكن ستجد الطريق مملّة بمفردك».

«لن أكون بمفردي، سترافقني الآنسة دابليه الى باريس».

رفضت الاستسلام للحزن الذي بدأ يتملّكها من جديد على هذا النبأ، وسألته بصوت خافت:

«آمل ان تكون خادمتك في باريس اقلّ كآبة وفظاظة من السيدة ليسكو...».

«انها مختلفة عن السيدة ليسكو، كانت ماري راقصة في زمانها، مسكينة، سمنت كثيراً فأرغمت على التوقّف عن الرقص. ستجدين الشقة

في باريس معزولة عن باقي المنازل المجاورة، اني لا أحب الضجيج، وتشكل مكاناً مناسباً للدرس، لكنك ستقضين معظم وقتك في المسرح. . . .».

اطمأنت سيلفي الى كلماته وكانت تتساءل عن موضع مارغريت في كل هذا:

«هل تعيش في شقتك؟».

«من حين الى آخر، ألجأ اليها عندما احتاج للهدوء، لكن الحياة الاجتماعية تأخذ الكثير من وقتي الى جانب المسرح، اتلقى وأقوم بدعوات عديدة، وغالباً ما استطيع العودة الى المنزل».

تنهدت سيلفي مفكرة انها لا تعرف الأماكن الباريسية الانيقة ولا المطاعم الفخمة، يبدو ان حياتها ستقتصر على السيدة كوربيه. . . لكن المسرح سيعوّض عن حرمانها، وصلا اخيراً الى بوليو، وتميّزت البلدة بفيلاتها وحدائقها المتقنة، لكن المرفأ القديم أثار اعجاب سيلفي اكثر من أي شيء آخر.

قادها انطوان الى فندق فخم، ورأت سيدة ترتدي بنطلوناً أنيقاً، فاستدارت نحو انطوان تسأله ببريق في عينيها:

«ألا تعتقد مايسترو اني بحاجة الى بنطلون جديد؟».

«أفضل أن ترتدي ملابس أكثر أنوثة يا سيلفي، انك نحيلة وشكلك صبياني من دون أن ترتدي بنطلوناً».

تضايقت من انتقاده، وتذكّرت ان الطبيعة انعمت على مارغريت اكثر منها، فافهمها انها على عكس رفيقه، خالية من الانوثة والجمال، يا الهي انه ماهر باثارة اعصابها الى اقصى حد.

دخلا المطعم ولاحظت ان اغلب الموجودين يعرفون انطوان ويبتسمون له. . .

انهم يتساءلون بدون شك كيف يمكنه مرافقة فتاة مثلها، ربما يعتقدونها تلميذة مدرسة او احدى قريباته في العطلة.

أما انطوان، فلم يكترث لنظراتهم المدهوشة، فهو ليس من النوع الذي يهتم بأقوال الناس، فكّرت انهم سيفاجأون اكثر لو عرفوا حقيقة علاقتها. . . بالتأكيد لن يصدقوا بأنها زوجته، هي بالذات لم تقتنع بالأمر

بعد. . . نظرت الى حقيبتها حيث يوجد الخاتم، كانت حقيبة بيضاء، هدية من والدها بمناسبة عيد الميلاد وهي غالية على قلبها.

اهتم انطوان باختيار الطعام لها، مثل المرة السابقة، ثم طلبت سيلفي طبقاً من الحلوى.

«ستمتنعين عن أكل الحلوى عندما تبدأين تمارينك. . . .».

«نعم، لكن اذكرك من جديد انه يوم عطلة يا مايسترو، ثم لا يبدو اني اسمن بسرعة. . . .».

نطقت هذه الكلمات مفكرة انها لم تر مثل هذه المآكل الشهية في الاشهر التي قضتها مع والدها في الكوخ، ويبدو انه قرأ افكارها، فسألها بصوت ناعم:

«لم تسنح لك الفرصة بعد للتأكد من ذلك يا صغيرتي».

«سأتركها اذا كنت غير موافق».

توقفت عن الأكل بالرغم عنها، ولاحظ انطوان عينيها الحزينتين، فضحك وقال لها:

«لا. . . كليها، لكني أتساءل أين تضعين كل هذه الكمية من الطعام».

«وهذا سرّ لن أبوح به».

بدا الانشراح على وجهها وهي تواصل أكلها من جديد، وعاد انطوان الى موضوع رونيه:

«لا يجب ان تنسى رونيه ونجاح الافتتاحية التي سأخصصها لموسيقاه. . . سيكون نجاحنا ايضاً يا سيلفي».

«آمل ذلك. . . ما اسم المقطوعة؟».

«البجعة البرّية».

تذكّرت ما قاله سابقاً عن طيور البجع في افتتاحيات الباليه، كان يقصد افتتاحية صديقه.

«لا اعتقد انه عنوان جذاب يا مايسترو. . . .».

«ربما سأطلق عليه اسم الاجنحة البيضاء انه مقطع حزين، في نهاية العرض تموت البجعة ويبكيها زوجها، هل تعرفين ان البجع يتزوجون لمدى الحياة؟».

لكن سيلفي لم ترغب في التكلم عن البجعة الميتة، لديها الوقت الكافي لذلك في باريس، وأحست بالنعاس يتملكها بعد التنزه في الهواء الطلق والغذاء الشهي، كل ما تريده الآن هو استجلاب انتباه انطوان، واهتمامه بها فقط، فقالت بصوت خافت:

«شكراً مايسترو، كان النهار ممتعاً، لن أنساه ابداً...».

رفع حاجبيه ناظراً اليها بدهشة:

«اعتقدت أنك ترغبين مسح اول قسم منه من ذاكرتك!».

«أخشى ان يكون الامر مستحيلاً، حتى لو صمّمت على ذلك».

«لا تخافي... تزول ذكراه مع مرور الوقت. ستحتفظين باسمك للرقص، لم يعد هنالك حاجة للادعاء انك روسية الاصل، سيلفيا آلن، يبدو لي اسم جميل... ما رأيك؟».

«لا أملك اسماً غيره...».

تذكرت فجأة انها تحمل اسمه... سيلفيا دي ميريكور من الآن فصاعداً، فاضافت بسرعة:

«اعذرني، نسيت انني املك اسماً آخر».

اعتلت شفتيه ابتسامة ساخرة.

«انه اسم نبيل يا سيلفي».

«اني متأكدة من ذلك، لكني لم آلفه بعد...».

لم يبد استحساناً على كلماتها، وقال لها مقطب الجبين:

«في أي حال، لن تستعمليه يا آنسة آلن، ليس هنالك اي مشكلة».

بدا الغرور على وجهه وهو ينطق هذه الكلمات، كان يفكّر بعدد النساء اللواتي تمنّين حمل اسمه.

ادركت سيلفي انها مسّت شعوره وحاولت تلطيف الجو:

«وماذا تسمي علاقتنا يا مايسترو؟ انها ليست بالضبط علاقة مدير بموظفته».

«معك حق... نحن شريكان يا سيلفي».

«شريكان في العمل.. لا في الحب».

دهشت سيلفي لجرأتها ونظرت اليه بترقب لترى ردة فعله.

«بالضبط... لكن النتيجة نفسها، انك ملكي...».

«اذكرك، انا لست بضاعة اشتريتها، ربما تكون هذه البضاعة من نوع رديء».

«تعابيرك غريبة...» اشعل سيكارة ونظر اليها من خلال الدخان المتصاعد، ثم استطرد: «في هذه الحال سأتخلى عنها، لا أرغب بالاشياء التي لا فائدة منها».

«حقاً يا مايسترو؟ تتخلى عني؟».

«بدون اي تردد».

لم تقتنع بجدية كلامه، فهي تجهل انه من السهل الغاء زواج غير متمّم، وفكّرت انه تصرّف معها بطيبة وانسانية حتى الساعة، قدّم لها عقد الزواج غير المنتظر، وهو لصالحها... سمح لها بالاحتفاظ بالكلب وأعاد اليها المحبس بناء على الحاحها. لا داعي للتخوف من نواياه تجاهها، انه رجل مثل سائر الرجال، وامرأة حاذقة تستطيع السيطرة عليه، عندما تنتهي من الكتب التي تطالعها، ستصبح بالتأكيد في منتهى الحذاقة والذكاء.

طافت هذه الافكار البريئة والساذجة في ذهنها ونظرت اليه وعلى شفتيها الجميلتين تتراقص ابتسامة ناعمة.

«اشكرك على كل شيء».

بدت صادقة في قولها، فابتسم انطوان بسخرية ورمقها بنظرة غريبة وغامضة، سيأتي الوقت الذي ستكتشف فيه انه ليس لديها اي سبب لتشكره على هذا النهار.

٥ـ لها أجنحة

في اليوم التالي نزلت فرقة باليه كوسموبوليت الى باريس. كانت سيلفي تراقب بانتباه زملاءها في القطار، لكن باستثناء استاذ الباليه، تجاهلها الباقون.

تساءلت اذا كانت سترقص يوماً مع لودوفيك كاربنوف، راقص الفرقة الرئيسي الذي تذكّر عينيه المشقوقتين باصله السلافي... كما شاهدت الراقصة ليونورا دوبريز تودّع أحد المعجبين بها حاملة باقة من الورود ثم الراقصة الانكليزية نينا ستيرلينغ التي رغبت سيلفي بالتكلم معها، لكن السيدة ليسكو لم تفسح لها مجالاً بتوطيد علاقتها مع باقي اعضاء الفرقة... اختلفت معها بشأن طوني وأمام اصرار سيلفي على عدم المغادرة بدون الكلب، لم يبق للسيدة ليسكو الاّ الخضوع للأمر.

وصلت سيلفي الى جزيرة سان لويس في ساعة متأخرة من الليل... اكتشفت فيما بعد أن المنزل الذي ستسكنه كان قبل الثورة الفرنسية قصراً لأحد الامراء. الجهة الامامية منه تطل على نهر السين بينما الجهة الخلفية من المنزل تشرف على حديقة زرعت في آخرها شجرة دلب. استأجر انطوان الطابقين الاول والثاني، وبالرغم من كونها في قلب باريس، كانت الجزيرة تتمتّع بجو وادع وهادىء.

سلم رخامي يؤدي الى شقة دي ميريكور، قاعة جلوس واسعة تطل على نهر السين، الى جنبها غرفة ومكتب انطوان، في الجهة المقابلة، يوجد المطبخ وغرفة نوم السيدة كوربيه، في الطابق الثاني، قاعة التمارين بمراياها الكبيرة ثم غرفتان صغيرتان خصّصت احداهما لسيلفي.

حمل السائق حقائبها الى الداخل ورأت سيلفي امرأة كبيرة الجسم بشوشة الوجه ما زالت عليه آثار الجمال بالرغم من تقدّمها في السن، مرتدية تنورة بنية وقميصاً أخضر، السيدة كوربيه... وتساءلت سيلفي اذا كانت عشيقة لانطوان في شبابها. استقبلتها بابتسامة عريضة مازجة الفرنسية بالانكليزية:

«تبدين تعبة يا... سيلفي اليس كذلك؟ اسمي ماري...» ثم نظرت الى السيدة ليسكو وسألت سيلفي: «انها خادمتك؟».

ردّت السيدة ليسكو بنبرتها الجافة:

«لا أنا لست خادمة الآنسة، وسعيدة لتركها في حمايتك... الى اللقاء آنسة آلن».

نزلت السلم بسرعة عائدة الى السيارة، وراح طوني يقفز مبتهجاً لرحيلها، هكذا أثار انتباه السيدة كوربيه:

«كلب! لم يخبرني السيد انطوان عنه، لا اعرف أين سأضعه».

«معي بيت صغير له، وبيت في غرفتي».

«كلب في غرفة نوم! ربما ذلك يغضب السيد انطوان».

«لا تقلقي، السيد انطوان لا يبالي مع من أبيت...».

لاحظت النظرة المدهوشة التي رمقتها بها ماري، فاضافت بسرعة:

«اعني لا تقلقي بشأن طوني، سيكون بألف خير».

قادتها ماري الى قاعة الجلوس فرأت في احدى الزوايا طاولة مدّت عليها الاطعمة، ولاحظت اناقة الاثاث الذي لم يكن من الطراز الفرنسي، ثم خرجت الى الشرفة للتمتع بمنظر أضواء مدينة باريس، منعكسة على مياه السين.

«مساء الخير يا آنسة...».

استدارت لترى فتاة صغيرة تبلغ من العمر السابعة أو الثامنة، بشعر قصير وعينين داكنتين...

«ايفون...» واضافت ماري بصوت خافت: «ربيبة السيد انطوان».

نظرت الطفلة الى سيلفي وسألتها:

«أنت أيضاً ربيبة العم انطوان؟».

«لا... لست ربيبته بالضبط... انه وصيّ علي لكن...».

ماتت الكلمات على شفتيها متذكرة غرابة وضعها، هل أخبر ماري بأمرها:

«ستقودك ايفون الى غرفتك، لا تتأخري كثيراً سيبرد العشاء...».

لكن ايفون نسيت ما يحيط بها، كانت تلاعب طوني وماري تنظر اليها بحنان، فتعلّقها بالطفلة واضح، لكنّها ليست والدتها بالتأكيد، كانت تبدو بعمر الستين... أخذتها ماري الى غرفتها، ولفتت نظرها النافذة الكبيرة المطلّة على الحديقة، وضعت حقائبها بجانب السرير وسمعت ماري توصيها بعدم التأخر على العشاء. غسلت يديها ووجهها وبعد ان سرّحت شعرها قليلاً عادت الى قاعة الجلوس لترى ثلاثة صحون فقط على المائدة.

«الن يأتي السيد دي ميربكور؟».

«نادراً ما يتناول العشاء معنا، اني سعيدة بوصولك يا سيلفي، ايفون لا تهتم كثيراً بالأكل، آمل ان تحبي اللحم».

كانت ماري، مثل الكثير من مواطناتها تجيد فن الطبخ، ثم سمعت ايفون تقول:

«اني سعيدة بغياب العم انطوان، فهو يخيفني قليلاً...».

- «انك فتاة غبية» قاطعتها ماري «ولو لم يرغم السيد دي ميربكور على مغادرة بلاده، لكان الآن اميراً من أسرة مالكة».

بدا الاهتمام في عيني سيلفي، لقد فكّرت دوماً انه ليس من أصل فرنسي.

«من أي بلاد اتى السيد دي ميربكور؟».

«جدّه من أصل روسي... أتى الى فرنسا بعد الثورة وكانت زوجته من عائلة دي ميربكور، فاتخذ اسمها وحصل على الجنسية الفرنسية، لم تعانِ العائلة من الجوع مثل باقي اللاجئين في ذلك الحين، فعائلة دي ميربكور تملك ارضاً في الخارج اكتشف فيها النفط، ولم يعرف السيد انطوان الحرمان في حياته...».

«هذا أمر واضح... لكن ما اسمه الحقيقي؟».

«أجهله... اعرف ان السيد دي ميربكور من عائلة شريفة ونبيلة».

تساءلت سيلفي كيف كان يوفق بين مهنته الفنية ونبل سلالته وشرفها... واتضحت لها اشياء كثيرة عنه، لقد ورث الانطواء على النفس

والاستبداد من الجانب الروسي، بينما الدم الفرنسي في عروقه كان يزيد من تناقض طبيعته...

«كان اذن دوقاً كبيراً... في أي حال لا يتسنى ذلك حتى الآن».

«جدّه كان دوقاً» صحّحت ماري مستطردة: «ولا أعتقد أنك تعرفين السيد انطوان جيداً، انه انسان طيّب...».

بعد العشاء ذهبت ايفون لتكمل فروضها المدرسية وصعدت سيلفي الى غرفتها ترتّب ثيابها في الخزانة... فكّرت بطيبة استقبال ماري ولطفها، لكنها لم تزل تتساءل عن الطفلة التي لم يخبرها انطوان شيئاً عنها، فهي تدعوه العم انطوان.

عند الصباح جاء استاذ الباليه، وطلب منها أن تأتي في الغد الى المسرح للابتداء بتمارينها. اعتذر على عدم تمكنه من استقبالها، لانشغاله مع الفرقة في الافتتاحية التي ستعرض هذا المساء، كانت سيلفي تجهل الأمر نهائياً، وفكرت باهمال انطوان وهي تشد عزيمتها للسيطرة على خيبة أملها أمام الاستاذ.

صعدت معه الى قاعة التمارين وطلب منها الاستماع الى افتتاحية البجع فعرفت للفور انها مقطوعة روتيه لوكلير.

كان ايقاع الموسيقى ساحراً... يوحي بمسافات لا حدود لها، يوحي بجداول مياه بطيئة ورفيف لأجنحة... أجنحة البجع... بدأ يعلّمها خطوة رقص واستجابت له بحماس، انه المقطع الذي تخيّل فيه روتيه وانطوان والدتها وهي ترقص.

ستحقق اخيراً تنبؤات السيدة لينسكا وتظهر في افتتاحية كبيرة؟

فيما بعد، عرضت عليها ماري القيام بزيارة قاعات السيد انطوان. كان فرش المكتب وغرفة النوم يوحي بالوقار، وباستثناء النوافذ المشرفة على النهر، لم يلفت انتباه سيلفي سوى الصور المعلّقة على الحائط. لوحة زيتية علّقت في غرفة النوم، لامرأة رائعة الجمال بثوب رسمي يكشف عن جمال وبياض كتفيها ويبرز عنقها الطويل... وجهها الجميل مكلّل بشعر اشقر، وعرفت سيلفي للفور انها والدة انطوان لشدة التشابه بينهما.

«انها روسية ايضاً. لم تجلب لزوجها مهراً، لكنها من الاشراف».

تصلّبت كتفا سيلفي على كلمات ماري، فهي ايضاً فخورة بعراقة

عائلتها، في المكتب، صورة لشاب أسمر ذي وجه جميل ينمّ عن احساس مرهف، لكن ما يستوقف النظر اليه، عيناه الواسعتان، عينا شاعر تعبّران عن نفسية صاحبها المشتتة والمتألمة.

«انه رونيه لوكلير، صديق طفولة السيد انطوان، نفس معذّبة وحائرة».

رأت فيه سيلفي الشاب الذي احب والدتها، وشكّت فيما اذا كانت ميشيلا قد عرفت اخلاصه لها، فهو بالتأكيد لم يبح بحبه.

هنالك أيضاً لوحات اخرى، تمثّل طيور البجع، فمنها الطائرة ومنها العائمة، لكن المنظر الاشد تأثيراً، كان مشهد البجعة الواقفة بجانب زوجها الميّت.

«أوحت طيور البجع معظم مؤلفات رونيه... يبدو أنه استوحى المقطوعة التي ألفها قبل وفاته من موت راقصة لامعة، وحتى الساعة لم يجد السيد انطوان بديلاً لها، لو سألتني رأيي، لقلت لك انها اوهام تافهة، كلاهما سحَرا هذه المرأة بالكمال المثالي، وهو لم يعثر على مثيلة لها لان الكمال غير موجود عند الخلق».

تأثرت سيلفي بكلمات ماري وفكّرت انها على حق... لقد عظّم الوقت ذكرى ميشيلا في مخيّلة انطوان، فلم ير فيها المخلوقة المكوّنة من لحم ودم، بل رأى ملاكاً ساحراً نسجه خياله... انه يلاحق شبحاً، محاولاً ايجاد الوالدة بابنتها، لكن أمله سيخيب لأنها لا تستطيع منافسة شبح أو ذكرى جمّلها باكثر من صفة بشرية.

«متى يأتي المايسترو؟».

«اني دائماً احضّر سريره، لكني لا أعرف بالضبط ساعة عودته، فهمت انها ليلة مهمة، ستعرض فيها افتتاحية الموسم ويتلو ذلك احتفال يدوم الى ساعة متأخرة من الليل، ربما يأتي غداً... هذا في حال تذكّر وجودنا».

زادت كلمات الخادمة يأس سيلفي، انه حقاً يهملها ويبعدها عن حياته بقدر الامكان... البرهان، انه لم يخبرها عن الافتتاحية، وكانت ماري على علم بتصرفاته اكثر منها.

صعدت الى غرفتها لكنها لم تذهب الى الفراش مباشرة، بل اتكأت على النافذة وراحت تتأمل الحديقة ودلبتها الوحيدة... جزيرة سان لويس منطقة ساكنة جداً، فكّرت سيلفي انها تشبه روضة وسط غليان المدينة، ثم

تخيّلت الاحتفال بعد الافتتاحية الاولى، أبقاها انطوان بعيدة عن كل هذا الجو، انها ملّت من الوعود الغامضة، ملّت من تمارينها التي لم تسمح لها بعد بالظهور أمام الجمهور... عادت الى سريرها لكنها لم تتمكن من النوم، فايقاع مقطوعة رونيه يرنّ في رأسها المتعب بالحاح شبه جنوني، هل ستصبح موسيقى البجع هاجسها مثلما كانت هاجس انطوان لسنوات عدة؟

سمعت سيارة تدخل الحديقة، وكانت الساعة متأخرة، توجهت بسرعة نحو النافذة، كان نور القمر يعانق ضوء المصباح الذهبي في المدخل، والدلبة تلقي بظلها على العشب، مشهد خيالي... يوحي بديكور المسرح في انتظار دخول الممثّل الرئيسي... رأته بكامل اناقته يدفع للسائق أجرته، في الحقيقة انه جذّاب لأقصى حد... شعرت بتلاحق أنفاسها عندما رفع رأسه نحو نافذتها، كأنه يعرف سلفاً أنها تراقبه، لكنها تدرك أنها بعيدة عن افكاره، شعرت سيلفي برغبة قوية للتكلم معه، وما المانع؟ انها تحمل اسمه ويحق لها المشاركة في نجاحه، باندفاع مجنون، فتحت باب غرفتها وتسللت منه بهدوء... لحسن الحظ، لم يحسّ طوني بخروجها.

كان واقفاً في قاعة الجلوس، تسمّرت للحظة راغبة في العودة الى غرفتها، ذكّرها باناقته بأمير من القرن الماضي... وعندما رأى صورتها بالمرآة، استدار مقطباً جبينه.

«هل هنالك مشكلة ما يا سيلفي؟».

«لا... سمعتك تدخل، ولم أشعر بالنعاس، فاحببت التكلم عن الافتتاحية، هل حققت نجاحاً كبيراً؟».

«نعم...» اجابها بابتسامة رحبة على وجهه ثم أضاف:

«يجب ان تكوني في فراشك في ساعة متأخرة كهذه...».

«ربما لم أعتد بعد سكون المكان ووداعته، أرجوك اخبرني عن الافتتاحية».

ظلّ صامتاً لفترة وخشيت أن يرسلها الى غرفتها، لكنه جلس هامساً:

«تفضلي».

كان نور الشمعة الضئيل يضفي على القاعة جواً مريحاً، فجلست على المقعد وأحست بعينيه مصوّبتين الى قدميها العاريتين.

«لا تملكين خفين؟».
«نسيتهما في غرفتي».
«أرجوك اعتني بقدميك انها ثمينتان».
لمفاجأتها، ركع امامها وامسك بقدميها، وراح يتأمله بعينين حالمتين.
اعتلتها رجفة خفيفة على ملمسه ونظرت الى رأسه المنحني محاولة السيطرة على اضطرابها، ثم أعاد قدميها الى الارض بحركة رقيقة ورفع عينيه نحوها مبتسماً.
«تملكين قدم راقصة...».
جلس على المقعد نفسه، وقربه منها أثار اضطرابها، فحاولت الابتعاد عنه قدر الامكان... راح يخبرها عن أحداث الليلة، معيداً كل المشهد في رأسه، وقال ببريق في عينيه:
«أعتقد ان عاشقي الباليه أمضوا ليلة لن ينسوها عن قريب...».
«تهانيّ يا مايسترو».
«شكراً، ارى انك وصلت بالسلامة، هل اهتمت بك ماري؟».
«نعم... لكن...».
ماتت الكلمات على شفتيها، كانت تفكّر بايفون.
«لكن ماذا؟».
«مايسترو... لم اتوقّع مقابلة ايفون».
«ايفون؟ آه، الطفلة، بالحق نسيتها، ألا تحبين الاطفال؟».
نظرت اليه بعينين مدهوشتين.
«بالعكس، احب الاطفال كثيراً، لكن... لكن كيف تتكلّم عنها هكذا؟».
«هل تشفقين عليها؟».
«تستحق الشفقة، انها يتيمة، أليس كذلك؟ أم هي ابنتك؟».
«هذا ما يعتقده الناس عادة...».
نطق هذه الكلمات بنبرة جافة، لكن ذلك لم يوقف سيلفي عن متابعة تحقيقها.
«لكنها ابنتك حقاً؟».
«هذا ليس من شأنك».

«انك مخطىء، لماذا تهملها بهذا الشكل؟».
«اني محكوم بوظيفتي، لا أملك الوقت الكافي، ثم لا ينقصها شيء».
«لا يكفي... انها بحاجة للحب والحنان».
«كلمة حب تردد كثيراً يا سيلفي، أغذّيها، ألبّسها واهتم بتعليمها... ماذا يمكنني ان افعل أكثر؟ في أي حال ليس لدي شيء أقوله لطفلة في سنها».
«انها محرومة من الحنان يا مايسترو... ليتك رأيتها تلاعب طوني...».
«طوني؟».
«كلبي...».
«يا الهي، جلبت معك هذا الكلب؟ دعيني أشتري لك كلباً من فصيلة أفضل».
«شكراً يا مايسترو... لا أتخلى عن طوني، لديه كل ما يعوّض عن جنس أصيل، لديه قلب دافىء، أنا ايضاً لا أستطيع العيش من دون الدفء والحنان».
«اعتقدت أن مهنتك تملأ حياتك، لا مانع عندي أن تحتفظي بالكلب، وبصداقة ايفون شرط ان لا يسيئا الى رقصك».
«انك قاس يا مايسترو...» عضّت على شفتها ثم سألته: «باستثناء رونيه لوكلير، هل حظي مخلوق آخر باهتمامك؟».
«لا منذ وفاة والدتي... أي منذ عشر سنوات... كانت المرأة الوحيدة الغالية عندي».
«اذن... صديقاتك، الآنسة دابليه.. لا تعني شيئاً لك؟».
اعتلت شفتي انطوان ابتسامة ساخرة.
«لا...» وأضاف عندما رأى الدهشة على وجهها: «انك صغيرة يا سيلفي، ولا تفهمين بعد الرجال ومطالبهم».
«لكن أنا وايفون لدينا مطالب ايضاً» وأردفت بسرعة عندما احست بالنظرة الغريبة التي رمقها بها:
«بالطبع... انها تختلف عن مطالبكم...».
«آمل ذلك...» فجأة غيّر الموضوع: «ما رأيك بمقطوعة رونيه؟».

«في الحقيقة لا أعرف ماذا أقول لك، ايقاعها ساحر، يلاحقك مثل هاجس، هل تعتقد أنني أستطيع الرقص عليها مايسترو؟».

«ستحاولين... أو بالضبط، سنحاول، معك حق، انها ليست من هذا العالم، تتطلّب مخيّلة واسعة، توحي لي برحلة الى كوكب آخر».

فكّرت سيلفي بعلاقتها مع هذا الرجل، كانت ترغب في صداقة دافئة وانطوان لم يقدّم لها سوى الأحلام المستحيلة.

افاق من احلامه على دقة الساعة، كانت الثانية صباحاً.

«عليك بالذهاب الى الفراش يا سيلفي...».

نهضت من مقعدها وما زالت تفكّر بوضعها معه... اثبت لها أنه عاجز عن تقديم الحنان والدفء اللذين تحتاج اليهما... تنهدت وقالت بصوت خافت:

«تصبح على خير يا مايسترو».

«وأنت بخير يا سيلفي».

عادت الى غرفتها وكان طوني في انتظارها، فاستقبلها بشوق وكأنهما افترقا منذ أسبوع.

«انك صديقي الوحيد يا طوني، تقدّم قلبك بدون انتظار شيء في البديل، انك أفضل من هذا الرجل بكثير...».

ثم استغرقت في النوم حاضنة الكلب بين ذراعيها.

عند الصباح، لحق انطوان بالنساء يشاركهن شرب القهوة، كان يرتدي قميصاً روسياً وبدا لسيلفي بمظهر شرقي بالرغم من شعره الاشقر. أخذ يقرأ الصحف وكانت معظم العناوين تتعلّق بافتتاحية الامس... ايفون تراقبه بصمت وترقّب وماري تنتظر اوامره باخلاص واضح.

هل هي حقاً ابنته؟ لا يوجد اي تشابه بينه وبين الطفلة، باستثناء لون عينيها، لكن عدم نفي انطوان للأمر، زاد الاشياء غموضاً.

ثم ترك انطوان قراءة الصحف وبدأ يعطيها تفاصيل يومها، تذهب الى المسرح برفقة ماري، تتدرّب حتى يحين وقت الغداء، ثم تأخذ دروساً في مواضيع مختلفة، وبعد العشاء، تدرس في غرفتها الى أن يحين وقت النوم...

يحق لها ان تذهب الى المسرح مرة أو مرتين في الاسبوع لمشاهدة

العروض...

بعد انتهائه من الكلام، نظرت اليه سيلفي بعينين مذهولتين، انه يطلب منها جهداً يفوق طاقتها...

«منهج عمل ممتاز، لا تترك لي الوقت حتى للتفكير، هكذا تدرّب عبيدك؟».

بدا القلق على وجه ماري لسخرية الفتاة اللاذعة أما ايفون فكتمت ضحكة لكن بريق عينيها كان يعبّر عن إبتهاجها واهتمامها بالموضوع.

«متى سأخرج يا مايسترو؟».

«تخرجين! الى اين ستخرجين؟».

«احتاج الى هواء نقي... وطوني كذلك».

«لا ارى الضرورة في ذلك».

اجابها بنبرته الجافة المألوفة، لكنها لم توقف سيلفي عن اصرارها:

«اني مستعدة للعمل جدياً، لكني احتاج الى بعض الحرية، ولو لنصف ساعة، والاّ أفقد حيويتي».

أمام الحاحها، استسلم انطوان للأمر، موافقاً على تنزهها لمدة ساعة برفقة ايفون، قبل موعد العشاء، لكنه اضاف في الأخير:

«وماري ترافقكما».

نظرت اليه الخادمة بعينين مذهولتين وهتفت:

«سيدي! لا أستطيع المشي...».

اجابها انطوان وقد تسلّل المرح من عينيه الى نبرات صوته:

«حقاً يا ماري، لا تسهّلين الامور عليّ... تأكدي من عودتهما في الوقت المحدد، انك مسؤولة عنهما».

كما توقّعت، مرّت الايام بشكل روتيني وممل... تتمرّن في الصباح على مقطوعة رونيه، أحياناً برفقة باقي الفرقة، وأحياناً اخرى مع لودوفيك فقط.

أما انطوان، فكان يحضر من حين الى آخر لمشاهدتها، ونادراً ما كان يبدي استحسانه لرقصها، وعندما كانت تسأله عمّا اذا كان سيعرض الباليه ويسلّمها الدور الرئيسي، لم تتلقَ الاّ ردوداً غامضة.

في بعض الاحيان كان يسمح لها بالتدرّب على أدوار أخرى، وبدأ

اليأس يتملّكها، مقتنعة أنها تتمرّن على دور لن ترقصه في حياتها، فهي عاجزة عن انجازه بشكل كامل.

عند المساء، تذهب برفقة ايفون وطوني على طول ضفاف السين أو الى حديقة مجاورة، وخلال هذه النزهات، عرفت أشياء كثيرة عن الطفلة... ربّتها ماري، لكنها متأكدة أنه لا يوجد قرابة بينهما، ولم تذكر أهلها قط.

«كانت ماري خياطة في المسرح، ثم اشتغلت عند العم انطوان. في شبابها كانت راقصة، بالرغم من ضخامة جثتها».

واخبرتها أيضاً عن عطلة أمضتها في الصيف الماضي في قصر قديم بالنمسا، وكانت أجمل ذكرى لديها، تعلّقت بصاحبة القصر، وحزنت كثيراً على الابتعاد عنها.

«كنت ادعوها العمة هيلدوغارد، يا الهي يا سيلفي كم هي جميلة وطيبة، لم أحب احداً سواها... باستثناء طوني».

العمة هيلدوغارد والدة ايفون؟ حبيبة انطوان أم زوجته الاولى؟ لا يبدو على الطفلة أنها تشكك بالأمر، ثم انطوان، لا يشعر بحنان تجاهها، في أي حال انه لا يحب احداً.

«انا لا احب العم انطوان، فهو يحتقرني لأني لا أملك اذناً موسيقية ولا أستطيع ان أكون راقصة».

«أمر مؤسف، هنالك أشياء أخرى في الحياة الى جانب الرقص... آمل يا ايفون ان نصبح صديقتين...».

«وانا كذلك، اني سعيدة لأنك جلبت طوني».

نطقت الطفلة هذه الكلمات بتهذيب لكن الحماس كان غائباً من صوتها، فايفون تحب الكلب فقط وأفهمتها أنها ربما ستصادقها مع مرور الوقت...

انها تشبه انطوان بتحفّظها وانطوائها على نفسها، ويبدو الأمر مدهشاً فهي لم تزل طفلة وتنقصها عفوية الاطفال، حركت اليتيمة الشفقة في قلب سيلفي، هذا اذا كانت حقاً يتيمة، لقد قال لها انطوان انه يغذيها ويلبسها ويعلّمها، لكنه لم يحبها والاّ لقدّم لها الحب والحنان.

مرّت الأيام، وسيلفي تنتظر ساعي البريد بفارغ الصبر، لكن الاخبار عن فرانسيس ما زالت مقطوعة، حتى الساعة لم تجد الوقت المناسب لمراسلة

توم ترافرز لكنها قررت الكتابة له في أقرب وقت ممكن.

يوماً بعد يوم كان قلقها يتزايد بشأن والدها، في ليلة، كانت ايفون في فراشها، قررت سيلفي طلب مساعدة انطوان... كان يسألها عن دروسها في الالمانية والايطالية، وهو يتقنهما الى آخر درجة.

«مايسترو... اني مقطوعة تماماً عن اخبار والدي».

«هل تتوقعين منه رسائل؟».

«بالطبع، لكن اخشى أن يكون أصابه ضرر، هل تستطيع اجراء ابحاث عنه؟».

«البرازيل بلاد واسعة يا سيلفي، وايجاد عنوانه في غاية الصعوبة هذا اذا كان لديه عنوان... ثم اظن انه يحب التجوّل، أليس كذلك؟ لا تقلقي، انه لا يفكر بالكتابة اليك لأنه مطمئن الى أمرك هنا».

«لا والدي لا ينساني، ربما هو بحاجة الى مال، لا تنسى ان الكوخ لا يشكّل ثروة كبيرة، حتى ولو رهنه».

قاطعها انطوان:

«معك حق».

نظرت اليه وبدا الشك على وجهها، ثم سألته بصوت مرتجف:

«مايسترو، هل أقرضته مبلغاً من المال؟».

«لم يكن قرضاً بالمعنى الحقيقي للكلمة، اتخذ طابع هدية، فلا أتوقع ان يرد ما أعطيته، اطمئني كانت قيمة كبيرة تكفيه لعدة شهور، شرط ان يكون قد امتنع عن القمار».

اذن، انها الآن مدينة لهذا الرجل بأكثر من شيء، وهي لا تملك المال الكافي لايفاء كل هذه الديون... ديونها وديون والدها، ساورها شعور بالخجل وهي تفكر بطيش والدها ثم سألته:

«هل... هل طلب قرضاً منك؟».

«لا، أنا عرضت عليه المساعدة».

«لكن لماذا؟ لا تجهل من أي نوع والدي، ربما سيبدّد المال في القمار».

اشعل انطوان سيكارة متفادياً النظر اليها، لكن ارتباكه المفاجىء لم يخف عليها وكأنه خجول بمعاملته لفرانسيس.

«هل فعلت ذلك من أجلي؟».

«نعم من أجلك... أخذ والدتك من الرقص، ودفعت الضمانة الكافية لابعاده عن مخططاتي بشأنك، كان متحمساً لفكرة السفر، وأنا سعيد لمساعدته...».

صدمت سيلفي من اعترافه... يا له من رجل بارد ومخطط، حرّض فرانسيس على السفر، معتنياً ضعفه ومؤكداً له أنّ الاشياء تجري على ما يرام.

«هل منعته من مراسلتي؟».

«بالطبع لا... لكن الأمر أفضل كذلك، كثرة الرسائل تشغلك عن عملك».

نهضت بسرعة عن مقعدها، وكانت عيناها ترسلان شهباً من النار، انه حقاً رجل بلا قلب:

«تحاول ابعادي عن ابي، وهو الانسان الوحيد الذي أحبه في هذه الدنيا! انك قاس ومستبد».

«لست بحاجة الى اب، لديك زوج يحميك».

«زوج! ضحكت بمرارة وأضافت: «زوج يعتبر زوجته سلعة...».

اثارت كلماتها غضبه ورأته يتقدّم منها ليقبض على يدها بقوة ويهمس:

«اذا كانت ذاكرتي جيدة، لا ينص اتفاقنا على أي طابع شخصي، انت التي اصرّيت على ذلك يا سيلفي...».

اما سيلفي، فقد امتلكتها رجفة قوية كادت تقع لو لم يمسك بها، انها اول مرة ترى فيها انطوان ينظر اليها هكذا... نظرة محرقة مثل النار رأت فيها رغبة الامتلاك... حاولت السيطرة على اضطرابها هامسة:

«نعم... هذا صحيح...».

«اذن كيف تريدينني ان اعاملك». أفلت يدها مبتعداً ثم اردف: «ربما تصلك اخباره عندما يبدّد كل امواله».

«تقصد أنه سيأتي ثانية للتوسل اليك... انك مخطىء يا سيد، أبي رجل فخور ونفسه ابيّة».

«حقاً؟ وبالرغم من ذلك وافق على بيعك لي؟ لماذا التهرّب من الحقيقة يا سيلفي، في الواقع اشتريتك منه».

أحست بالدماء تتدفق الى وجنتيها، وراحت تشدّ عزيمتها للتمكّن من

نطق الكلمات بدون اختلاجة في صوتها:

«عندما أحصل على بعض المال، سأعيد لك كل هذه الديون وما صرفت لي من نفقات حتى الآن».

«انه قرض كبير يا سيلفي، لكن أنت بالذات ثمنك غالٍ... أليس كذلك؟».

تجاهلت سخريته وقررت عدم التعليق، مفكرة بفرانسيس وأجوبته الغامضة عندما سألته عن الكوخ... لكنه لم ينسها، فهو لم يكتب حتى الآن لأنه لم يتمكن من ذلك.

جلس انطوان وأخذ كتاب الالمانية.

«لا أرغب في البحث عن والدك، سيظهر من تلقاء نفسه في الوقت المناسب، اما أنت، فستطيعين ردّ دينك بمواظبة العمل».

ابتلعت ريقها، شاعرة بغضب وكره شديدين تجاهه، انه مغرور ومستبد، خالٍ من الشفقة، لكنها كانت تعي كونها رهينة بين يديه.

«حسناً يا مايسترو... سأجتهد لأرضائك في هذا المجال».

«اذن لنكمل درس الالمانية، ما زالت لهجتك سيئة».

في الليلة التالية، رافقها انطوان بنفسه الى المسرح، كان موعدهما الاسبوعي لمشاهدة الباليه، ارتدت ثوبها الأحمر، الذي شاح لونه مع مرور الوقت، لكنها عزمت على عدم طلب شيء منه، وعندما نزلت الى قاعة الجلوس، نظر اليها باستياء قائلاً:

«لا أحب هذا الثوب، أليس لديك شيء آخر؟».

«نعم، ثوب الرقص وقميص النوم».

قطب جبينه وهتف:

«لا أسامح على اهمالي، لكن لماذا لم تطلبي مني ملابس جديدة؟».

«اني مدينة لك بما فيه الكفاية».

«يا لك من فتاة غبية، قلت لك ان رقصك لا يقدّر بالمال، سنذهب غداً لشراء بعض الملابس».

كما وعدها، اصطحبها الى كبار الخياطين واشهرهم في باريس، واشترى لها كميات هائلة من الثياب، لكنه أصرّ عليها بتجربة كل ثوب قبل شرائه. كانت دقائق مزعجة للغاية، شاعرة بعينيه الناقدتين مصوّبتين اليها، ولم

تخف عليها نظرات البائعين الخفيّة، عرّف عليها انطوان بالآنسة آلن.

بدا سعيداً في تقديم هذه الثياب لها وكأنها لعبة بين يديه يلهو بها ويلبسها على ذوقه... في طريق عودتها الى المنزل، لم تتمكّن من الامتناع عن التعليق:

«هل استمتعت بما فيه الكفاية لقد أحرجت موقفي أمام البائعين، اذكرك أني لست مارغريت دابليه...».

«لا اشتري ملابس للآنسة دابليه، علاقتنا ليست ودّية كما تتصورين».

فوجئت باعترافه ناسية غضبها.

«لكنك تصطحبها الى كل مكان!».

«انها مقتضيات الحياة الاجتماعية اني اقوم بدعوات عديدة والتقاليد الباريسية تفرض وجود امرأة ورجل للقيام بهذه الحفلات».

«تقصد أنّ اصدقاءك يعتقدون انكما مخطوبات، لكن هذا ليس شريفاً يا مايسترو بحق الآنسة دابليه، هل تعرف أنك لا تستطيع الزواج منها؟».

«بالطبع لا، لكني لم أعدها بشيء».

نطق هذه الكلمات بنبرته الساخرة المألوفة، لكنها احتفظت بالصمت، انها اخطأت بشأن مارغريت، لكن ماذا عن هيلدوغارد؟ انه بحاجة الى مضيفة لحياته الاجتماعية، وكيف يمكنه أن يحصل على واحدة وقد تزوّج منها؟

وصلا الى المنزل وكانا يدخلان الحديقة عندما استدارت نحوه:

«مايسترو، اني اخطأت بحقك، انت بحاجة الى زوجة تظهر معك في حفلاتك الرسمية».

«ربما في يوم ما سأرزق زوجة».

لم تجرؤ أن تسأله عن قصده.

عند المساء جاء لودوفيك واستاذ الباليه الى الشقة لمتابعة التمارين على مقطوعة روتيه... كان انطوان حاضراً، وكالعادة بدأ نقده الدقيق عندما رفعها لودوفيك عن الأرض...

«يا الهي... الخطوة سيئة...».

أبعد الراقص آخذاً مكانه وسيلفي تواصل رقصها، لكن عندما أمسك بها أنطوان ورفعها عن الأرض، تصلّب جسمها على ملمس يديه، الامر

الذي أثار غضب المايسترو فأعادها على قدميها وما زال قابضاً بشدة على خصرها.

«أيتها الغبية... طرّي جسمك، انك بحاجة الى ليونة اكثر للقيام بهذه الخطوة...».

«انك تؤلمني».

«ارقصي جيداً اذن».

لكنه لم يفلت خصرها، فهمست في اذنه:

«انك متوحش».

لم يعلّق انطوان بل اكتفى برفعها من جديد بحركة خاطفة ورماها وراء عنقه ثم ابتدأ بالدوران حول نفسه. كان أطول وأقوى من لودوفيك، تساءلت ماذا سيفعل بها بعد ذلك وبدأت تشعر بدوخة خفيفة، لكن لحسن الحظ أعادها الى الارض وقال لها بسخرية:

«انحني وابتسمي للجمهور يا سيلفي».

بدأ الرجلان بالتصفيق وسيطرت على غضبها مبتسمة كما قيل لها ان تفعل، ثم سمعت استاذ الباليه يهتف:

«برافو يا مايسترو، لكني فهمت ان الآنسة مبتدأ بالباليه قبل السيرك»..

«لن تبدأ بشيء طالما لم تتحسّن، لنتابع التمارين الآن».

كظمت غيظها وبدأت ترقص، وهذه المرة عندما رفعها لودوفيك، لم يعلّق انطوان...

«كفى لهذه الليلة».

جاء أمره بصوت قاطع، وعندما خرج الرجلان، استدارت نحوه بعينين تقذفان النار:

«استمتعت بعرض قوتك وعضلاتك؟ تعتقد انك اثّرت على لودوفيك؟ اني متأكدة انه كان يهزأ منك».

نظر الى وجهها وقد لوّن الغضب وجنتيها ولاحظت في عينيه بريقاً من المرح...

«حقاً؟ لكنه هزأ مني بتهذيب ولباقة، اسمعي يا سيلفي، رقص الباليه يتطلب قبل كل الشيء النظام، وأشهر الباليرينات لم تنحت مديرها

بتوحش».

«وتسمي نظاماً الهزء مني؟».

اعتلت شفتيه ابتسامة ساحرة وقال لها بصوت ناعم:

«هل تعرفين يا سيلفي، عندما تغضبين تبرق عيناك، كأنك لبوة. . .

انها جميلتان وأحبها عندما تغضبين، لكن لا تخرجي مخالبك، بعد ان اعلّمك خطوة في الرقص انتظر منك التجاوب لا المقاومة».

«لم اقاومك».

صمتت فجأة، كيف تستطيع أن تفهمه أن مجرد لمسه يحرّك فيها اشياء غريبة. . .

انه ماهر في اثارة اعصابها وارتباكها، ثم سمعته يقول لها:

«عندما تعلمت الرقص. . . أجل في صغري تعلمت الرقص، كان الاستاذ يضرب ساقيّ بقضيب عندما اخطئ». . . وكل ما فعلت هو الامساك بك بشدة، لكي ادفعك على الاستجابة، وها أنت مستعدة لقتلي!».

«بالضبط، أحمق. . .».

«تتمنين ماذا يا سيلفي؟».

«ان يكون جدك قد قتل خلال الثورة، كي لا أراك أمامي اليوم».

«وأين تكونين أنت الآن؟ في احد احياء موناكو القذرة؟».

ندمت على كلماتها، وتذكرت أنه قدّم لها الملجأ والمساعدة:

«اعتذر، لم اقصد حقاً ما قلته منذ لحظات، كنت حسناً وطيباً معي واشكرك على ذلك».

«لا تبدأي بشكري يا سيلفي، أفضل غضبك اكثر، الافضل الآن ان تأخذي حماماً، سابدّل ملابسي، اني خارج هذا المساء. . .».

مع مارغريت. . . وصعدت الى غرفتها محاولة طرده وطرد الآنسة دابليه من ذهنها.

٦- أنت ملكي وحدي

كتبت سيلفي لتوم ترافرز في اليوم التالي، وطلبت طابعاً من ماري. لكنها شكّت فيما اذا كان توم سيجيب على رسالتها، فهما لم يتقابلا الا لفترة قصيرة وهي بالذات تأخرت في الكتابة. كانت بحاجة ملحة لصديق، فانقطاعها عن اخبار والدها جعلها تشعر بوحدة مريرة ولم تتوصل حتى الآن لمصادقة أحد من أفراد الفرقة، فالراقصات لم تستحسن اهتمام انطوان بها خوفاً من أن تحل مكان واحدة منهن، أما انطوان فلم يشجع أية علاقة بينها وبين أعضاء فرقته. . . كان لودوفيك كارينوف، يقدّر موهبة الفتاة وساوره الشك بمشاريع انطوان بشأنها، خاصة ان المايسترو يخصص لها الدور الرئيسي في افتتاحية «البجع»، ربما ستحل مكان ليونورا، الباليرينا الاولى في الفرقة، لقد كبرت هذه الأخيرة في السن، لكنه قرر الاحتفاظ بشكوكه لتفادي الأزمة، فليونورا تملك طبعاً حاداً. . . أجابها توم على رسالتها، وتتابعت المراسلة بينهما بانتظام بعد تلك الرسالة الاولى. أخفت سيلفي الأمر عن انطوان خشية معارضته بالرغم من براءة العلاقة بينها وبين الشاب الانكليزي، أصبح توم صديقها الوحيد وكانت حريصة على المحافظة على علاقتهما، ثم انطوان لم يقدم لها أي بديل عن ذلك. أما بالنسبة لماري، قالت لها انه ابن عمتها. . . بدت الخادمة مقتنعة بالأمر ووعدتها باخفاء الأمر عن انطوان موافقة مع سيلفي على استبداد السيد في بعض الأحيان. لكن في قرارة نفسها، كانت متأكدة انه أحد المعجبين بالفتاة، فسيلفي شابة جميلة والسيد انطوان يبقيها منعزلة عن أبناء جيلها ودفعتها طبيعتها العاطفية الى مساعدة سيلفي في مراسلتها، موفرة المال لشراء الطوابع.

في أحد الأيام، تلقت رسالة من توم يخبرها بمجيئه الى باريس لقضاء اسبوع في شهر ايلول، ويأمل بمقابلتها.

لاحظت ماري اشراقة الفرح على وجه الفتاة لدى قراءتها الرسالة وقالت لها مبتسمة:

«يرسل اليك الحبيب اشواقه».

صححت لها سيلفي:

«ابن عمي... انه قادم الى باريس».

«ترغبين بمقابلته؟». لاحظت ماري تردد الفتاة فأضافت: «لا تخشي شيئاً، لن أخبر السيد انطوان...».

«لكن هذا كذب يا ماري!».

هزت ماري كتفيها قائلة:

«لديه صديقاته الغاليات، ولم يخبرنا عنهن، لماذا لا تفعلين مثله؟».

«معك حق».

بالرغم من انها لم تعتبر توم صديقاً غالياً، حبها للباليه لم يمنعها عن الصداقة... ستجد طريقة تقابل بها توم، ربما خلال نزهاتها مع طوني. لم تقرر بعد اذا كانت ستخبر انطوان بالأمر، فاستبداد المايسترو كان يخيفها... تذكرت يوم زفافها واعتلت شفتيها الجميلتين ابتسامة مريرة، انهما غريبان ومرغمان على العيش تحت سقف واحد.

كانت فرقة باليه كوسموبوليت تنتظر بفارغ الصبر السفر الى سالزبورغ، للاقامة هناك لمدة اسبوعين، وكان الحر في باريس خانقاً. توقعت سيلفي الذهاب مع الفرقة، وقلقت بشأن توم، فهو لم يحدد لها موعد وصوله بالضبط، وقد تصادف الرحلة وقت مجيئه... لكن انطوان وضع حداً لتخوفاتها عندما قال لها في ذات صباح:

«ستواظبين على عملك خلال غيابي مع الاستاذ الذي اخترته لك، يأتي الى الشقة في الصباح، انه استاذ ممتاز» وأضاف بنبرة ساخرة:

«بالرغم من كبر سنه! وهو متزوج...».

«اذن، لن أرافقكم الى النمسا؟».

لم تعرف بالضبط اذا أراحها النبأ أم خيّب أملها، فهي ترغب في السفر وتغيير الجو، لكن في الوقت نفسه، سيسهل غياب انطوان الأمور...

«أفضّل ان تبقي هنا، لدي أصدقاء قدامى هناك، سأزورهم، ثم يا سيلفي، التيرول منطقة جميلة توحي بالرومانسية، ولا أريد تحريك عواطفك».

«ما قصدك؟ هل تعتقدني مغرمة بلودوفيك؟ أعرف انه شاب وسيم، لكن...».

«لكن قلبه مأخوذ. تأكدت من ذلك قبل أن أسمح له بالرقص معك...».

تذكرت سيلفي أن لودوفيك أخبرها عن فتاة يرغب بالزواج منها لكنها كانت تجهل ان انطوان يعرف الأمر...

«لكن هل ستسمح له بالزواج؟».

«عادة الرجال يفرقون بين عملهم وحياتهم العاطفية، لكن النساء عاجزات عن ذلك».

«سمعت بهذه النظرية من قبل، لكنها خاطئة يا مايسترو، أعرف رجالاً فشلوا في مهنتهم بسبب الحب».

«انهم بالتأكيد غير متزنين».

«لكن أنت شديد التوازن، لا تجد أية صعوبة بالفصل بين عملك ومغامراتك العاطفية أليس كذلك؟».

«هل يجب دائماً التكلم عن الأمور الشخصية يا سيلفي؟».

«لم لا؟ ألست النموذج المثالي الذي يثبت نظريتك؟».

«اني أحاول فقط ابعادك عن التجارب».

لم تعلّق هذه المرة وقررت كتمان زيارة توم، سيرى فيه انطوان خطراً عليها، انه شاب حر، ولن يصدق براءة صداقتهم، اعتلت شفتيها الجميلتين ابتسامة مترددة ونظرت اليه:

«ستذهب الى سالزبورغ بصفة مدير فرقة كوسموبوليت أم لزيارة علاقة قديمة يعيدك حنينك اليها؟».

«هذا ليس من شأنك».

«اعذرني، نسيت أني انتمي الى حياتك المهنية فقط، أمورك الشخصية لا تعنيني».

لم يعلّق انطوان على سخريتها بل اكتفى بالنظر اليها طويلاً، بدت له

صغيرة السن في ثوبها الأخضر وهي جالسة على مسند المقعد تهز قدمها. . .

«متى تبلغين الثامنة عشرة يا سيلفي؟».

«لقد أكملتها، مر عيد ميلادي بدون ان يتذكره أبي، وأنت كذلك».

عاد قناع الحزن يغطي وجهها، فما زالت تعتبر عيد ميلادها مناسبة مهمة وكان بامكان انطوان معرفة تاريخ ولادتها، فهو يملك أوراقها، أما فرانسيس. . . بالتأكيد نسي، نسي حتى مراسلتها.

«لماذا لم تذكريني به؟».

«لا أرى حاجة الى ذلك».

«تبعاً للقانون الانكليزي أصبحت راشدة. . . لكنك ما زلت تبدين صغيرة جداً في السن».

«اذن من الصعب ان يفكر الناس أني السيدة دي ميريكور، هذا يناسبك أليس كذلك؟».

توقعت اثارة غضبه او على الأقل سخريته المألوفة، لكنها دهشت عندما راح يشرح لها بأناة وطول صبر عن ضرورة الاحتفاظ باسمها، فهي ما زالت باليرينا صغيرة لكن في المستقبل، في حال تعدد أزواجها، سيبقى اسمها سيلفي آلن».

«في الوقت الحاضر، لدي نصف زوج فقط».

«هل مللت شروط اتفاقنا يا عزيزتي؟».

«لا. . . لكن. . . لكنك تفضّل صديقاتك عليّ، فأنا امرأة ايضا و. . . ».

«حقاً؟».

قاطعها وهو يطوي جريدته ببطء، ثم نهض من مقعده متوجهاً نحوها، كان حينئذ يبدو بابتسامة ساحرة لطيفة، جعلتها تشعر بتلاحق غريب لأنفاسها.

«هل تفضّلين القيام بواجباتك الزوجية؟».

حاولت الرد متحاشية النظر اليه، لكن الكلمات ماتت على شفتيها، فأمسك بذقنها ناظراً مباشرة في عينيها، وأحست بارتباك لشدة قربه منها، ظلت صامتة لفترة تشد عزيمتها للسيطرة على اضطراب نفسها.

«قلت لك سابقاً يا سيلفي اني مستعد لتغيير شروط اتفاقنا اذا كانت هذه

رغبتك. . . ».

اما سيلفي فكانت تحاول تفسير الشعور الذي يحركه فيها، يا له من أمر عجيب، ترغب في الارتماء بين ذراعيه وفي الوقت نفسه تشعر بقوة غريبة تدفعها الى الهرب والابتعاد عنه، لكنها تذكرت انه اشتراها من والدها وأكد لها انه لم يقع في حب امرأة حتى الآن، باستثناء والدته، فعاد بريق الغضب يتراقص في عينيها وهتفت بقوة:

«ابداً. . . لم يتغير شعوري نحوك».

«اذن لا تشعلي ناراً أنت عاجزة عن اخمادها، والا أحرقت نفسك. . . بلغت الثامنة عشرة، هذا صحيح، لكنك ما زلت طفلة يا سيلفي».

خرج من القاعة وبقيت وحدها تحاول التفكير بالأحداث بكل موضوعية. لا، هي لم تعد طفلة، لكنه عاجز عن رؤية ذلك، وهي متأكدة ان لديه امرأة تنتظره في سالزبورغ، ربما هيلدوغارد، فهو ليس من النوع الذي اعتاد ان يستأذن احداً في تصرفاته، لا يعرف الا الرغبة فقط، لا مكان للحب في حياة هذا الرجل، ولا يمكنها القبول الا بحبه، فالرغبة المجردة من الحب تجرح احساسها، لكنها تذكرت قربه منها منذ لحظات، عندما كان ممسكاً ذقنها واعترتها رجفة خفيفة لهذه الذكرى، تخيلت موقفه لو سمحت لنفسها الارتماء بين ذراعيه، بالطبع لكانت دهشته كبيرة.

حضرت سيلفي العرض الأخير قبل رحيل الفرقة الى سالزبورغ، كانت ترتدي ثوباً حريرياً، بلون ناري وعلى كتفيها فروة جميلة، لكنها ندمت على أناقتها لقد خصص لها انطوان مقعداً في زاوية مظلمة حيث لا يراها أحد. . . خلال الاستراحة، لمحته برفقة ليونورا التي كانت تقدّم له زهرة من باقتها، ثم أدلى بكلمة قال فيها ان فرقة كوسموبوليت أصبحت أشهر فرقة باليه في اوروبا. . .

حقق اذن احد أهدافه، لكنه لم ينجح بعد بانتاج البجع، وكان ذلك طموحه الأكبر.

لم يعد الى الشقة الا في ساعة مبكرة من الصباح. كانت سيلفي في الحديقة برفقة طوني عندما رأت سيارة المرسيدس وهي تعرف انه يأخذ سيارته في الرحلات الطويلة فقط. نظر اليها مقطباً جبينه وأدركت للفور انه لم يكن في احسن مزاجه.

«تركت الباب مفتوحاً يا سيلفي! انك تستفزين اللصوص عمداً... هل احضرت ماري حقائبي؟».

كان يشعل سيكارته ويبدو لها شاحباً، وكأنه يحاول الابتعاد عنها ويتحاشى النظر اليها، بدون شك كان برفقة احدى صديقاته، لكن من المستحيل ان يساوره احساس بالذنب تجاهها.

«دقيقة... لا تدخل الآن، هل استمتعت بليلتك؟».

«لا أعرف يا سيلفي اذا كنت سأنجح يوماً في تحويلك الى سيدة مجتمع رفيع».

«عقدك ينص على جعلي راقصة فقط... ثم سيدات المجتمع الرفيع هذا، أصبحن في طريق الانقراض».

«انك تكتسبين الطرق والعادات الخشنة التي يتميز بها أبناء جيلك...».

«طرقهم الخشنة كما تقول، هي الدليل على صدقهم وصراحتهم...».

«عادة يا سيلفي حسن التصرف يخفف من قسوة الحياة... لكنك لم تتعلمي ذلك بعد».

اطلت ماري حاملة الحقائب ومعتذرة على تأخرها.

«لكن ما هو عنوانك في سالزبورغ، كيف سأوصل اليك رسائلك؟».

«الأمور العاجلة تعالج في المسرح والباقي ينتظر عودتي، سأقضي معظم وقتي في الجبال عند اصدقاء لي. الى اللقاء يا سيلفي، اجتهدي في عملك وانتبهي لنفسك».

لحقت به ماري حاملة حقيبة في يدها، ثم سمعت السيارة تبتعد. عادت الخادمة لاهثة وسددت نظرة خاطفة للفتاة.

«سينزل السيد في قصر قديم عند اصدقاء له، لا اعتقد ان الفرقة ستراه كثيراً في سالزبورغ».

القصر في النمسا... عند العمة هيلد وغارد. أحست سيلفي بلذعة من الغيرة لهذه الذكرى، انه عائد الى ذكريات الماضي، ربما ما زالت العلاقة قائمة بينهما، ولم يتردد ثانية لتركها في باريس. فكرت بتوم ترافرز وارتفعت معنوياتها من جديد، ربما ستتاح لها الفرصة لمعرفة الحب هي

ايضاً.

صادف وصول توم خلال غياب انطوان، فكانت حرة لمقابلته عند العصر. التقت به لأول مرة برفقة ايفون في حدائق التويلوري الجميلة. كان مرتدياً زياً انيقاً ويبدو لها مختلفاً تماماً عن الشاب الأسمر في موناكو. عندما رآها، بدت اشراقة الابتهاج على وجهه، لقد تمكّن من المجيء قبل الموعد المحدد وسألها عما اذا كانت عطلته تتناسب مع مواقيتها، فطمأنته مؤكدة انه اختار اكثر وقت مناسب للقدوم الى باريس.

«قبل ان انسى يا توم، انك ابن عمي».

كانت ايفون تلهو على بعد بضعة امتار منهما، سألها ويبرق من المرح في عينيه:

«هل من الضروري ان تعرّفي بي كأحد اقربائك؟».

«نعم، اني محاطة بوحوش، ويجب ان افسّر علاقتنا بطريقة ما».

تلت هذه المقابلة لقاءات عدة، كانت تلتقي به عند العصر، غالباً لوحدها بدون رفقة ايفون... ورويداً رويداً، اخبرته قصتها الغريبة، كانت بحاجة ملحة الى صديق وأذنين صاغيتين... وثقتها بتوم كبيرة، في أي حال لن يشكل خطراً، انه عائد الى انكلترا.

«يا لها من قصة غريبة! يذهب والدك الى اميركا اللاتينية ويتركك في حماية هذا الـ... ما اسمه؟ دي ميريكور؟ مدير فرقة باليه مهووس بذكرى والدتك، يتزوجك للاحتفاظ بك، لكنه ليس زوجك حقاً... هل الرجل مجنون؟».

«مجنون بمقطوعة صديقه المتوفي، يرى بي النموذج المثالي للرقص على هذه الموسيقى، والرب يساعدني اذا فشلت».

«لكنه لا يبالي بك كامرأة؟».

«لا... انه يعتبرني طفلة صغيرة».

«انه رجل حقير».

«لا تقل ذلك، كان طيباً وأحسن اليّ، ولم يدّع أي شعور تجاهي، قبلت بشروطه مفتحة العينين... خاطرت من أجل حبي للرقص».

رأت سيلفي الحزن يغطي وجه الشاب فسارعت الى تغيير الموضوع:

«لا تعتقد أني تغيرت يا توم عن الفتاة التي شاهدتها أول مرة؟».

كانت ترتدي ثوباً أصفر، وبدا الاعجاب في عيني توم الزرقاوين:
«انك الجمال نفسه يا سيلفي، لديك شيء يميّزك عن باقي الفتيات».
بدا يفكر بالكلمات المناسبة لوصف جمالها الساحر ثم أضاف:
«كأنك آتية من عالم آخر. . . لا افهم كيف يمكن لأي رجل الزواج منك واهمالك بهذه الطريقة».
«أنا لست حزينة على عدم اهتمامه بي، لا. . . لا أرغب بشيء آخر».
أحست بالدماء تتدفق الى وجنتيها وأضافت:
«لا تقلق بشأني، اتفاقنا يناسبني تماماً».
اكتفى توم برؤيتها عند العصر فقط، فهي لا تجرؤ أن تخرج في المساء، في لقائهما الخامس، عاد مجدداً الى موضوع زواجها. كانا في حديقة اللوكسامبورغ جالسين على مقعد في زاوية هادئة وراء تمثال يحميهما من أعين المتطفلين.
«هذا الرجل يحرمك من حقوقك يا سيلفي، يحرمك من الحب والاستمتاع بالحياة».
«أجد سعادتي في الرقص يا توم، آمل فقط أن أنجح في تحقيق هدفي».
«لكن الرقص وحده لا يكفي!».
«اقدّر اهتمامك بي، لكني قلت لك سابقاً، لا تقلق بشأني، اني بألف خير».
«سيلفي. . . انك فتاة رائعة، لا يجب ان اقول ذلك لامرأة متزوجة، لكنك لست زوجته حقاً، ثم لا تبدين متزوجة على الاطلاق».
«وأنا لست متزوجة أليس كذلك؟».
«بالطبع. . . سيلفي اني واقع في حبك. ضمّها الى صدره مستطرداً: لا تغضبي يا حبيبتي فأنا غير قادر على كتم شوقي وحنيني، اني مجنون بك. . .».
«ألست غاضبة يا توم. . .؟».
وضعت يدها على صدره شاعرة بخفقان قلبه السريع.
«لكن. . . لكن لا أريد لك الأذى، منذ وفاة والدي والسيدة ليستكا أصبحت وحيدة، فأبي بعيد الآن ويبدو انه نسيني. . . بالطبع لدي طوني لكنه مجرد كلب».

«يا حبيبتي. . .».
فجأة ضمها الى صدره بقوة وعانقها. كان ناعماً لكنه لم يثر فيها شيئاً. . . هذا هو الحب اذن؟ وقد سمعت ان ناره تذيب الثلوج! لماذا مجرد لمس انطوان لها، يحرك فيها اشياء غريبة؟ لكن السيد دي ميريكور رجل قاس ومتعجرف، عكس توم الذي يقدّم لها قلبه وحنانه، فعجزها على الاستجابة لحبه عائد لها.
اختار طوني هذه اللحظة بالذات للصعود على حجرها، قاطعاً لحظات الحنان بينهما.
في اليوم التالي، قال لها توم بحماس:
«انا أفكر يا سيلفي! زواجك ليس حقيقياً، إلغاؤه أمر سهل، ولا يسيء الى الطرفين».
«حقاً؟».
«بالطبع. . . واذا تعسّرت الأمور معك، تأتين الى انكلترا فتهتم بك والدتي ريثما تتمكن من الزواج وتتخلصين من دي ميريكور. . . هذه المرة سيكون زواجاً حقيقياً يا حبيبتي».
الزواج من توم لا يعني لها شيئاً. . . لكنها لم تجرؤ أن تخيّب أمله. . . قال لها: تتخلصين من دي ميريكور. . . وأثارت فيها هذه الكلمات حزناً شديداً. . .
«انك تعرض عليّ ارتباطاً مدى الحياة يا توم؟».
«نعم يا حبيبتي».
«لكن الالغاء سيتطلب وقتاً طويلاً وهذا غير عادل بحقك. . . ثم لا أريد ترك الرقص، وحتى الآن لا أعرف متى سيتيح لي انطوان الفرصة بتجربة حظي أمام الجمهور. . . واذا فشلت لا أدري ماذا سيحل بي».
«سأنتظرك دائماً يا حبيبتي».
عاد الى انكلترا تاركاً وراءه وعوداً بالاخلاص والوفاء مدى الحياة، ولمفاجأتها لم تشعر بحزن شديد على مغادرته، أصبح في المدة الأخيرة متطلباً ومزعجاً وهي عاجزة عن مشاركته حبه، فكّرت انها تفضّل صداقتهما بواسطة ساعي البريد. . . الى جانب حبه ووعوده، ترك لها أيضاً فكرة ثابتة: الغاء زواجها. . . لم يقل لها انطوان شيئاً عن هذه الامكانية وهو

بالتأكيد يعرف أن الغاء زواجها أمر سهل.

عاد السيد الى باريس ملفوحاً بشمس الجبال ومرتاحاً بعد أقامته في هواء التيرول النقي الذي يهب الصحة.

كانت الفرقة تحضر افتتاحية جديدة: كسّارة الجوز. وعيّنت بالبرينا روسية للقيام بدور كلارا، وهي راقصة اكتسبت شهرة عالمية وانطوان سعيد بتوظيفها.

خلال هذين الاسبوعين تملّك سيلفي ضجر رهيب، بالرغم من وجود انطوان في المنزل في أغلب الأحيان، نادراً ما كان يشعر بها، اشتاقت الى نزهاتها مع توم، ولم تتمكن من الذهاب الى المسرح ليلا بسبب انشغال الفرقة بالافتتاحية الجديدة، أما اساتذة اللغات، فقد كانوا في العطلة... فبدت لها الأيام طويلة ومملة.

أهم حدث كان استلام رسالة توم، أجابته في المساء نفسه وهي في سريرها، وبسبب ضجرها وشعورها بالوحدة، كانت رسالتها مليئة بالشوق والحنين، فجاء رده شغفاً، أخبرها عن حبه بصفحات طويلة... وارتفعت معنوياتها المتأذية من اهمال زوجها.

لحسن الحظ، عادت سيلفي الى تمارينها الصباحية، ولم تعرف بعد اذا كانت ستشارك في الافتتاحية الجديدة وقد نفد صبرها من هذا التأجيل المستمر. كانت ماري حليفتها الوحيدة، توفر لها الطوابع مخبئة الظروف بالطوابع الانكليزية عن انطوان، اما سيلفي، فاخفاء الأمر عن المايسترو كان يسبب لها من حين الى آخر شعوراً بالذنب سرعان ما كانت تخنقه محتجة باستبداده... عند المساء، كان انطوان مدعواً الى حفل عشاء وابقوت في سريرها بسبب زكام بسيط، فأتت ماري لتسلّمها رسالة من توم.

«لم أتمكن من اعطائك الرسالة بعد عودتك من المسرح، كان السيد انطوان هنا، لكنه ذهب الآن، فتستطيعين قراءتها بهدوء...».

استلقت على المقعد فاتحة الظرف، كانت رسالة طويلة، يخبرها فيها توم عن رحلة صيد أقامها مع رفاقه، وكالعادة، يتخلل الوصف، حبه وشوقه لها. كان اسلوبه ممتعا فاستغرقت في القراءة، والكلب نائم قرب قدميها... فتح طوني عينيه متنبهاً، ثم قرر ان الصوت مألوف فعاد الى الرقاد.

لم تسمعه يدخل، كان واقفاً بجانب الباب، بكامل اناقته وزهرة كاميليا في زر سترته. بدا الاعجاب في عينيه وهو ينظر اليها، كانت حانية رأسها، وعلى شفتيها الجميلتين ابتسامة ناعمة، وثوبها الأصفر متراخ حولها بطيات متماوجة... مر بعض الوقت قبل ان يتنبه الى الرسالة بين يديها، ثم رأى الظرف على الأرض، فتقدم بهدوء وأخذه متنبهاً الى الطابع الانكليزي...

«استلمت رسالة يا سيلفي؟».

المفاجأة، كانت كبيرة... ضمت الورقة الى صدرها بيد مرتجفة شاعرة بالدماء تتدفق الى وجنتيها...

«مايسترو! ظننتك مدعواً الى العشاء...».

«الغي الموعد، فرجعت... كنت مستغرقة في القراءة فلم تنتبهي لدخولي من يكتب اليك من انكلترا؟».

«صديق انيس».

«ولماذا الكذب يا سيلفي... انت لا تستلمين رسائل من عمتك، وحسب اهتمامك واستغراقك بها أرى انها رسالة حب».

«لا... انك مخطىء، انها مجرد رسالة من صديق».

«رسالة طويلة، في أي حال، من أين لك هذا الصديق؟».

قررت مصارحته بالموضوع، فبالرغم من كل شيء، لم يمنعها بعد عن كتابة الرسائل واستلامها.

أبعد الكلب وجلس مكانه، فابتعدت عنه وطوت ساقيها تحتها.

«اخبريني عن هذا الصديق، أين تعرفت عليه؟».

«في مونتي كارلو، انه الشاب الذي ساعدني على انقاذ طوني ذلك الصباح».

«تذكرته، لكن من أين له عنوانك؟».

«ارسلته له».

«خفية عني؟».

«لا... بالضبط لم...».

«كيف لا؟».

«ومن أين لك الحق في مراقبة رسائلي؟».

أحست بشجاعتها تعود اليها بسرعة وأضافت:

«لا اعتقد اني اخفي عنك شيئاً».
«لكنك لم تخبريني بالأمر».
«لم أرَ حاجة الى ذلك فأنت لا تبالي بحياتي الشخصية».
«تعرفين تمام المعرفة اني اهتم بكل ما يتعلق بك، وكنت أعتقد بأنك لا تراسلين احداً سوى والدك».
«تريدني ان أبقى وحيدة، حاولت منع والدي من مراسلتي، ويبدو أنك نجحت، فأنت تحرمني من أي علاقة شخصية».
رفع يده لايقافها لكنها واصلت بحدة:
«اني بحاجة الى صديق، الى جانب الباليه، توم شاب طيب أتى لزيارتي... نعم جاء من انكلترا خصيصاً لمقابلتي، كنت في سالزبورغ، قابلته كل يوم، وبدا متفهماً للأمر...».
«لقد اخبرته عن وضعنا؟».
نظرت اليه بتحدٍ وقالت:
«نعم، أخبرته بالأمر».
«حقاً انك فتاة غبية... كيف تجرؤين على ذلك؟».
«لم لا؟ قلت لك اني بحاجة الى صديق، اني اعمل جيداً وأتعب من أجلك، لكني ما زلت شابة، وأنت تتركني لوحدي معظم الوقت، توم لم يتدخل في مهنتي... انه يحبني، وأحتاج الى الحب يا مايسترو».
«الحب! النساء وعواطفهن السخيفة».
«هل تعتبر طلب العاطفة خطيئة؟».
«العاطفة... الرومانسية.. الحب... كلها خيال يا سيلفي، يخلقها الانسان للهرب من الواقع المرير... هل تشاركينه حبه؟».
ترددت للحظة، لا هي لا تحب توم لكنها مستعدة لأي شيء لجرح غرور هذا الرجل المستبد:
«انه ليس خيال... أحبه ولا تستطيع فهم ذلك، فالحب شعور غريب عنك».
«هل تذكرين الوعود التي قطعتها لي في دار البلدية في مانتون؟».
ضحكت بمرارة، لقد عذبها هذا الرجل وأذلها بما فيه الكفاية حتى الآن، وكيف تنسى انه اشتراها؟

«وأنت بالذات لم تعر هذا الزواج أية اهمية، ترفض أن تتحمل مسؤولية زوجة حقيقية، تلهو مفضلا المغامرات العابرة، مختبئاً وراء زواج مزيف، لا تعطي وعوداً ولا تحقق آمالا... انك حقير».
«لماذا كل هذا الغضب يا سيلفي؟ تعرفين جيداً اني لا استطيع الزواج من امرأة أخرى...».
«لكن ربما ترغب في ذلك لو كنت حراً».
«ربما... لكني لست حراً».
«اذن دعنا نلغيه، الأمر سهل أليس كذلك؟».
«نلغي ماذا؟».
«هذا الزواج المزيف، اكد لي توم أن الغاءه سهل».
«أكد لك هذا الغبي ان الغاءه امر سهل؟ يريد الزواج منك أليس كذلك؟».
«الأمر طبيعي».
«طبيعي! يا الهي انك جننت، أنت مثل غيرك من النساء، مثل والدتك، مثل جيانينا، تجازفين بكل شيء من أجل ما تسمونه حب».
«هنالك أشياء أخرى في الحياة الى جانب الباليه يا مايسترو».
«خيبت آمالي يا سيلفي...».
«اخطأت عندما قبلت بشروطك، كنت صغيرة، وأجهل معنى الحب في ذلك الحين، أجهل انه أهم شيء في حياتي كنت غبية».
ماتت الكلمات على شفتيها، فكرت بغصة ان حب توم لا يعني لها شيئا، لكنها كانت الطريقة الوحيدة لمنحه حريته من جديد.
«بالعكس، تصرفك الآن غبي، تزوجتك لابعادك عن جنون مثل هذا».
«لكن اكتشفت ان قلبي يخفق، ولن أتركك تحطمه».
«كفى يا سيلفي، افهمي للمرة الأخيرة انك ملكي وستبقين لي».
انه حقاً يتجاوز كل الحدود، فهي لن تقبل باستبداده، نهضت بسرعة محاولة ان تحتفظ بهدوء صوتها:
«انك مخطىء... انت لا تملكني».
«حقاً؟».

«أيام العبودية ولّت لا يملك الرجال زوجاتهن، الزواج الحديث اصبح مشاركة في كل شيء».

لقد قال لها يوم زواجها، انها شريكة له... ويبدو انه نسي تمام النسيان قوله.

«لا أريد شريكاً يا سيلفي، أملت ان أجعل منك راقصة... واخشى ان لا يكون هنالك حل سوى تحطيم قلبك، ستنزعين توم من أفكارك ولن تراسليه من الآن فصاعداً».

جلس على كرسي وأشعل سيكارته وكأنه أراد أن يفهمها ان الموضوع قد انتهى. كانت تنتظر معاقبته منذ البداية، استفزّها بهدوئه وحملها على الاعتراف بحب لم تشعر به في الحقيقة، لكن كيف يمكنه ان يأمرها بتحطيم قلبها؟ يعتبر نفسه سيد الخلق!

«مشيئتك ليست إلهية يا انطوان».

انها المرة الأولى تدعوه باسمه لكن كلاهما لم ينتبه للأمر، وأضافت:

«عاقبني اذا شئت، لكنك لن تستطيع ملك قلبي، انه لتوم وسأذهب اليه عندما يطلب مني ذلك، لا يمكنك ايقافي».

استفزته عمداً راغبة ان يعترف لها انه بحاجة اليها، انه يقبل بكل شيء للاحتفاظ بها، حتى بتوم، لكنها أدركت ان انطوان لا يضحي من أجل أحد، وكان وجهه خالياً من أي تعبير...

«واذن ستذهبين اليه، هل دبّرتما الأمر؟».

«نعم».

«وستلغين زواجك في انكلترا؟».

«بالضبط».

«لكنه سيغيّر رأيه اذا اكتشف انك حقاً زوجتي؟».

لم تفهم قصده على الفور، وعندما اطفأ سيكارته ناهضاً عن كرسيه ببطء، توضحت لها نواياه، فابتعدت عنه لكن المقعد خلفها أوقف تراجعها...

«انك... انك لست جاداً؟».

«هل يبدو عليّ المزاح؟ تعتقدين أني سأستسلم لهذا الشاب بعد كل ما انفقته من مال ووقت في سبيلك؟».

«ألا ترغب في استعادة حريتك؟».

«لا... تزوجتك من أجل هدف معينّ، ولم أحققه بعد، لن يكون هنالك حرية لأحد منا».

اذن، هو ما زال يخصص لها افتتاحية الجمع! لكن فرحها زال بسرعة، فهو مهووس بموسيقى صاحبه ومستعد للتضحية بحياتها، وحياته ايضاً... لا يرى فيها سوى السبيل لتحقيق حلمه...

رأت في عينيه الداكنتين بريقاً غريباً، شبه جنوني، وتخيلت نفسها الضحية التي ستقدم على مذبح الطموح والسيطرة والغيرة... اقترب منها انطوان، ماسكاً يدها بقبضة قوية وجذبها نحو صدره. تملكها خوف لم تعرفه من قبل، اغمضت عينيها شاعرة بتوقف قلبها عن الخفقان، أين الهرب؟ انه يفكر بامتلاكها.

«أين غضبك يا عزيزتي؟ لماذا كل هذا الخوف؟ اني زوجك وبعد هذه الليلة لن يكون هنالك محاولات أخرى حول الغاء الزواج، كنت مستعداً للانتظار ريثما تكبرين قليلاً، لكن يبدو اني انتظرت طويلاً، هل تعتقدين أني سأترك السيد توم يأخذ مكاني؟».

«لا... لقد وعدتني... لم تفهم بالضبط، أنا وتوم لا...».

أرادت أن تفهمه انها كذّبت عليه، لكن الكلمات ماتت على شفتيها، وشعرت بتلاحق أنفاسها من شدة قربه منها. ثم همس في أذنها بنعومة:

«أنا لست معتاداً على الحب البريء، لا تنسي ان دماء التتار تجري في عروقي، سأخضعك تماماً يا بجعتي البرية حتى لو اقتضى الأمر استعمال السوط».

بالفعل، اختفى الارستقراطي الفرنسي ليحل مكانه الهمجي، لم تخرج من فمها سوى صيحة صغيرة، سيرغمها على الاستسلام الأخير، معاقبة قاسية لتجرؤها على مصادقة شخص آخر.

«لا... لا تستطيع يا انطوان... هل تريد أن أكرهك؟».

«لن أسمح لغيرين بعرقلة مشاريعي. شدّ قبضته عليها، وأضاف: لقد تخليت عن وعودك، أطالب بحقوقي الآن... بعد الليلة، لن يكون هناك مجال لفصم زواجنا».

قبض عليها قبضة النسر على فريسته ثم ضمها الى صدره بعنف حيث

استحالت لها كل مقاومة، وهي لم تُحاول حتى المقاومة بل كانت مسمّرة في مكانها، تعيش أعظم لحظات رعب في حياتها. . . رفعها عن الأرض وصعد بها الى غرفته مقفلا الباب وراءهما. . .

اقترب من الباب كلب صغير، قلق. . . سمعته ماري بيل وكانت صاعدة الى غرفتها، فأخذته معها بعد ان نظرت الى الباب المغلق. . .

في تلك الليلة، غمرت الظلمة القصر القديم الذي شاهد اجيالا من الحب. . . والعنف.

٧ـ لن تخرجي من حياتي

أفاقت سيلفي على نهار مشرق وشمس ساطعة ترسل أشعتها وسط الغرفة. كعادتها، صفرت لطوني، لكن لم يكن للكلب أي أثر في الغرفة. . .

تذكرت فجأة. . . محى النوم أحداث الليلة الماضية. . . أضحت وكأنها في حلم استيقظت منه لتعود من جديد الى الشمس والحياة الطبيعية، صعدت الى غرفتها في ساعة مبكرة من الصباح ولم تجد طوني فيها.

اتكأت على وسادتها وراحت تفكر بانطوان، يا له من أمر عجيب، كان رقيقاً وناعماً بالرغم من الغضب الذي امتلكه من جراء حديثها عن رغبتها بالغاء الزواج.

فكّرت بحزن لو كان زواجهما مبنياً على الحب والوفاء، كم كانت الاشياء مختلفة وجميلة، لكنها، للأسف، تعي شعور انطوان نحوها، فهو لا يرغب الاّ بالسيطرة عليها واخضاعها تماماً، في سبيل ابعادها عن توم، غير مبال بإحساسها وشعورها. في الصباح الباكر تسللت من غرفته بهدوء لكنه استيقظ على صوت المفتاح «سيلفي!» همس اسمها بنعومة: «لا تتركيني».

كان رجاء اكثر منه امراً، لكن نار غضبها عادت الى الاشتعال: «لن أسامحك ابداً، انك متوحش. . . وأكرهك».

وعادت زهرتي من جديد الى الغضب، ابقي معي يا حبيبتي».

لكنها خرجت بسرعة وكأنها هاربة من الرغبة التي كانت تدفعها الى البقاء بجانبه. قررت محو ذكرى تلك الليلة من حياتها. تكث بوعوده

معها، وستعامله بالمثل يبدو أنه نسي القرن الذي يعيش فيه، أيام العبودية ولّت منذ زمن طويل وهي ليست ملكه وبالرغم من الذي حصل بينهما لا تعتقد انه سيعلن عن زواجهما. يجب ان اغادر هذا المكان قبل ان افقد توازني، لن ابقى تحت رحته ليوم واحد، أثبت لي انه عدو مخيف. . . طافت هذه الافكار بذهنها وكانت تخشى مقابلته، فقررت البقاء في غرفتها ريثما يغادر المنزل.

سمعت قرعة على الباب ثم رأت ماري تدخل الغرفة حاملة صينية، يرافقها كلب متشوق لرؤية صاحبته، يقفز على سريرها ويلحس يديها.

«قهوتك يا سيلفي، اعتقد انك ترغبين ببعض الراحة».

أرادت سيلفي ان تفهمها انها السيدة دي ميريكور لكنها ادركت ان ماري لن تصدقها، فالذوق بنظر العجوز، لا يتزوج من راقصة باليه. . .

وضعت الصينية الى جانب السرير وقالت لها:

«خرج السيد باكراً، سيبقى غائباً طوال النهار. ستذهبين الى المسرح؟».

«ليس لدي شيء افعله اليوم هناك».

لم ترغب ابداً بالذهاب الى المسرح وارتاحت لغياب انطوان.

شربت قهوتها وهي تتأمل السماء الزرقاء من خلال نافذتها، كان نهاراً جميلاً، في اوائل تشرين الاول، وقد بدأت اوراق الدلبة بالاصفرار. . . نظرت الى كلبها:

«سنرحل يا طوني. . . .».

فتح الباب ثانية، دخلت ايفون الغرفة وبدا الانشراح على وجهها لرؤية الكلب.

«وجدتك اخيراً! كان حزيناً ولم تتركه ماري يدخل الغرفة من قبل، قالت انك بحاجة الى الراحة، ولا أرى كيف يستطيع طوني ان يتعبك. . . .».

«اعذريها يا ايفون انها امرأة عجوز». لكنها في قرارة نفسها، كانت تشكر الخادمة على الاحتفاظ بالكلب ثم قالت للطفلة:

«ربما افضل لو تعوّد النوم في المطبخ من الآن فصاعداً».

أحست بوخزة ضمير وهي تنطق هذه الكلمات، فهي راحلة اليوم مع طوني ولن يبيتا ليلة اخرى في الشقة، ستحزن ايفون على الكلب. . . على

الكلب فقط. . .

«لماذا لا تربّين كلباً يا ايفون؟».

«لا نستطيع الاحتفاظ بكلبين في المنزل».

قبّلت الطفلة انف طوني وذهبت الى مدرستها، تمنّت سيلفي ان يقدّم لها انطوان كلباً بعد مغادرتها هي وطوني.

قفزت من سريرها واغتسلت، ثم فتحت الخزانة تنظر بحيرة الى الثياب المعلّقة. . . ماذا سترتدي يا ترى؟ في زاوية من الخزانة لفت انتباهها علبة، كانت قد وضعتها لدى وصولها الى الشقة ونسيت ما يوجد فيها، فهي لم تفتحها منذ ذلك الحين. لدهشتها، وجدت فيها سروالها وقميصها القديمين، مغسولين ومطويين بترتيب.

ارتدتهما وأحست انها هي نفسها من جديد، سيلفي آلن، حرة، مستقلة. . .

ستذهب الى المغامرة وتعثر على عمل يساعدها على العيش مع طوني.

ستعرض هذه الليلة افتتاحية «كسارة الجوز» ولا تعتقد أن غيابها سيلاحظ وسط الحماس والتدابير، ولديها كل الوقت قبل ان يبدأ انطوان البحث عنها.

عندما نزلت الى المطبخ، استدارت ماري تنظر اليها بعينين مذهولتين.

«اني ذاهبة في نزهة طويلة مع طوني».

لم تصح بعد الخادمة من دهشتها، حملتها طبيعتها العاطفية الى الاعتقاد ان سيلفي ستبقى في المنزل حالمة بعودة حبيبها. . . تنتظره بفارغ الصبر وبثياب مرتّبة على الأقل. . . كانت تنوي تحضير عشاء شهي لها واعتقدت ان سيلفي ستساعدها في تحضيره، لكنها تذكرت ان الفتاة انكليزية، والانكليز شعب بارد.

«لكن يا سيلفي. . . .».

«الطقس رائع، لا أعتقد أني سأعود الى الغداء هل تقرضينني قليلاً من المال، سأشتري شيئاً آكله انا وطوني».

«لم يعطك السيد شيئاً؟».

«لا. . . ثم لا أقبل بماله، سأكسب عيشي يوماً ما».

اعطتها ماري بعض المال من حقيبتها ثم سألتها:

«واذا جاء السيد، ماذا اقول له؟».

«انك لا تعرفين اين ذهبت، فانا بالذات لا أعرف بعد. شكراً يا ماري، آمل ان أستطيع يوماً التعويض عليك» وباندفاع ارتمت بين ذراعيها وقبلتها.

«لن انسى ما فعلت من أجلي يا ماري...».

دهشت الخادمة من تصرف الفتاة الغريب وبدأ الشك يساورها:

«انك لا تنوين القيام بشيء ربما تندمين عليه يا سيلفي؟».

«لا... قلت لك اني سأتنزه طويلاً مع طوني...».

نزلت السلم بسرعة وخرجت الى الحديقة، مسرعة عبر شوارع جزيرة سان لويس الضيقة، قطعت الجسر متوجهة نحو قلب باريس.

لم يمض على رحيلها الا بضعة دقائق عندما سمع رنين الهاتف، أجابت ماري ثم اسرعت بقدر ما يسمح لها جسمها الثقيل الى الحديقة، لكنها لم تجد اي أثر لسيلفي، تبخّرت مع الكلب.

تجولت سيلفي بشوارع المدينة بقلب مرح، فبالرغم من صعوبة موقفها أحست بحرية لم تشعر بها منذ ان دخلت الشقة في جزيرة سان لويس. انها الآن بعيدة عن انطوان وسيطرته واستبداده... لم ترغب في رؤيته ثانية في حياتها.

مرّ بعض الوقت ثم فكّرت انها لا تستطيع التجول طوال النهار بدون هدف، عليها ان تفكر بشيء... ترددت في طلب مساعدة توم، فهي لا تريد ان تكون مدينة لاحد ثم لا ترغب بالزواج منه، هنالك عمّتها ايضاً. لكن جواز سفرها مع انطوان... وهي لا تريد العودة الى ستراتكلان.

هل تذهب الى القنصل البريطاني ليدبّر لها سفرها الى بريطانيا؟ لكن ماذا سيحلّ بطوني؟

ثم فكّرت بالعودة الى البروفانس، فلديها بعض المعارف في القرية، وستجد عملاً مؤقتاً ربما تحصل على عقد جديد في فرقة باليه اخرى. اذا تعثّرت معها الامور، تلجأ الى مدرستها، فالراهبات يستقبلنها برحابة صدر...

لكن كيف تذهب الى البروفانس فهي لا تملك المال الكافي للسفر بالقطار. بطاقتها ورخصة اقامتها مع انطوان ثم... انها لم تحتج اليها،

فهي الآن مواطنة فرنسية... لكنه احتفظ بعقد الزواج ايضاً، حتى محبسها بقي عنده..

لا، انها لن تدع اليأس يتملّكها، ستجد طريقة توصلها الى البروفانس.

اشترت رغيف خبز وتفاحاً، وجلست تحت الاشجار في نهاية شارع الشانزيليزيه لتأكلها... وبينما كانت تراقب المارة، غمرها شعور بالوحدة لا يطاق، فهي لا تعرف احداً، غريبة في بلد غريب... لكنها نهضت بعزم متوجهة نحو قوس النصر وقررت مغادرة العاصمة.

فجأة رأتها تخرج من أحد متاجر الازياء... فهي لم تنس هذا الوجه في حياتها كانت ترتدي معطفاً أنيقاً وقبعة اسبانية... يبدو ان المرأة عرفتها ايضاً، اذ رأت سيلفي جيانيتا موريسون تتقدم نحوها هاتفة:

«آه... صغيرة المايسترو! لم تتحسّني كثيراً منذ آخر مرة شاهدتك فيها. ماذا حدث يا عزيزتي؟ تخلّى عنك بهذه السرعة؟».

«لا... لم يتخل عني، هربت...».

تساءلت سيلفي اذا كانت تستطيع طلب المساعدة من جيانيتا.

«أريد مغادرة باريس».

«افهمك» كانت ترمق ثياب الفتاة بنظرة ازدراء ثم اردفت:

«لا تستحقين برأيه ان يدفع لك بطاقة عودتك؟ انا لا احب الشحاذين يا صغيرتي».

احست سيلفي بالدماء تتدفق الى وجنتيها وهتفت:

«لم اشحذ منك شيئاً».

املت ان حقد الايطالية تجاه انطوان سيدفعها الى مساعدتها، لكن يبدو انها اخطأت في توقعاتها. استدارت وابتعدت ببطء شاعرة باليأس يغمرها من جديد.

كانت مستغرقة بافكارها السوداء، عندما رأت شاحنة تمر بقربها وقد وضع مكبر صوت على سطحها، لكنها لم تنتبه الى ما كان يعلنه، ولم تسمع حتى جيانيتا راكضة وراءها محاولة ايقافها.

«انتظري... انتظري قليلاً...».

امسكت يد سيلفي لاهثة:

«اسمك سيلفي آلن، اليس كذلك؟».
لدهشتها رأت الايطالية تعانقها وتقول:
«اعذريني، لكن ذكرى ذلك الحيوان، اقصد انطوان دي ميريكور، تجعل اعصابي تحترق، لكنك ضحيته ايضاً. سأساعدك تعالي معي الى المنزل، انك بحاجة الى بعض الراحة، وبعض الطعام سينشطك، ثم تتحدث عن مشاريعك... يجب ان لا تعودي اليه».
«لا انوي العودة اليه».
عندئذ، لاحظت الراقصة طوني:
«كلب! تأخذينه معك؟».
«لا أستطيع ان اتركه لوحده».
«لا عجب، معك حق».
تكلّمت جيانينا بصوت غامض ثم أشارت الى سيارة تكسي وتنهدت بارتياح بعد ان انطلقت بها.
حاولت سيلفي تفسير التغيّر المفاجيء الذي طرأ على جيانينا، ثم تذكرت أنها ايطالية الاصل، والايطاليون مشهورون بعفويتهم وحدة طبعهم، وقررت انها بالرغم من كل شيء، تملك قلباً طيباً.
قادها السائق في شوارع باريس المزدحمة وكانت سيلفي تستعيد افكارها شيئاً فشيئاً.
«...ك تسكنين باريس؟ اعتقدت ان زوجك انكليزي».
«انه انكليزي الاصل، لكنه يعمل في السفارة بباريس».
توقفت السيارة قرب عمارات حديثة في شارع باريسي انيق يدعى باسي دفعت جيانينا للسائق وجرّت سيلفي معها الى الداخل ثم الى المصعد الكهربائي الذي توقف بهما في الطابق الثالث.
فتحت باب الشقة وقادتها الى قاعة الجلوس، كان فرشها حديثاً لكنه خال من أي طابع شخصي، باستثناء صور جيانينا بثياب الرقص، المعلقة على الحائط. ثم جاءت امرأة ايطالية ضخمة فهمت سيلفي انها الخادمة، راحت تنظر اليها والى الكلب بعينين مذهولتين.
«احضري بعض الطعام يا سانتيا هذه الطفلة ستموت جوعاً».
ثم نظرت الى الكلب وبعد تردد بسيط اضافت:

«وشيئاً للكلب ايضاً».
«انه عطشان، هل استطيع ان آخذه الى المطبخ؟».
كانت تخشى ان يوسّخ الفرش النظيف وبالرغم من ان جيانينا كانت تشعر بالملل، قالت:
«لا داعي لذلك، ستحضر له سانتيا وعاء من الماء».
خاطبت الخادمة سيدتها بالايطالية، فضحكت جيانينا قائلة:
«اجل يا سانتيا، لكن احضري الطعام بسرعة الآن».
لم تفهم سيلفي ما دار من حديث بين الامرأتين وتساءلت لماذا كان وجودها يسرّ الخادمة الى هذا الحد، لكنها نسيت كل شيء عندما رأت الطعام.
خلعت جيانينا معطفها وقبعتها متمددة على المقعد، وراحت تسأل الفتاة عن مشاريعها.
اعترفت سيلفي انها لم تقرر بعد اذا كانت ستذهب الى البروفانس او تعود الى انكلترا، وقالت لها جيانينا ان الحل الأخير هو الافضل، فبالرغم من كل شيء انكلترا وطنها الأم، وزوجها يستطيع تدبير جواز سفرها، فوظيفته تمكنه من ذلك.
ثم بدأت الاسئلة عن المايسترو، جاءت أجوبة سيلفي غامضة، فهي لم ترغب ان تخبر جيانينا انها كانت تعيش عنده، واكتفت بالقول انها لم تعد تتحمّل ظلمه واستبداده.
وافقت معها الايطالية على استبداد المايسترو وعاد الغضب يشوّه كلماتها من جديد:
«كل ما يهمّه هو التمرين... تمرين تمرين... عمل مرهق وعمل، ولم يكتف بذلك فقط، علّمني اللغات، لكي أصبح سيدة مجتمع مكتملة حسب تعبيره... انه رجل متعب وصعب يا سيلفي، لا يرضى الا بالكمال ويحتقر عامة الشعب، والثياب الرثّة».
في الواقع كانت جيانينا تعتقد ان سيلفي مغرمة بانطوان، وهربت منه بسبب عدم اكتراثه بها... لازالة شكوكها، راحت تخبرها عن توم ترافرز، فبدا الانشراح على وجه الراقصة:
«ولديك حبيب في انتظارك؟ يجب ان تلحقي به، اذن هذا سبب هربك!

كم سيكون سعيداً برؤيتك».

«حتى لو كنت بثياب رثّة وبدون مال؟».

«اكبر خطيئة ترتكبينها بالنسبة لهذا الرجل، هي حب شخص غيره، لهذا السبب طردني من الفرقة، لم يتحمل ان أفضل جيمس عليه».

العكس تماماً فكرت سيلفي، كل ما اخبرته جيانيتا حتى الآن كان مناقضاً للوقائع.

بعد انتهائها من الاكل نهضت جيانيتا من مقعدها وقالت لها انها ستقابل زوجها في فندق امباسادور وستحدثه عنها.

«تبقين هنا، سانسيا تحضّر لك غرفة الضيوف، لا تخافي، انك بأمان عندي، ستقضين ليلة واحدة فقط ريثما يدبّر جيمس عودتك الى انكلترا، سترحلين في الغد كوني متأكدة».

دعتها لمرافقتها الى غرفة النوم كي تبدّل ملابسها، فارتدت جيانيتا ثوباً احمر وحذائين ملمّعين، وضعت في يدها سواراً ثم حول عنقها عقداً من الماس...

«الماس ليس هدية من جيمس، انه هبة من ارتباط سابق».

اطلت سانسيا لتعلمها ان سيارة الأجرة تنتظرها قرب المدخل.

«حسناً، اني آتية، لا تخرجي يا سيلفي، ستحضر لك سانسيا كل ما تحتاجين اليه، لا تنتظرينا، سنعود في ساعة متأخرة... مساء الخير يا عزيزتي».

لكن النظرة التي رمقتها بها كانت خالية من الصداقة التي ارادت ان تقنعها بها، كانت نظرة خصم الى خصمه.

عادت الى قاعة الجلوس تحاول التفكير بالامر بموضوعية، احست انها خارجة من عاصفة، هكذا كان تأثير جيانيتا عليها... سترجع اذن الى لندن! تقطب جبينها على هذه الفكرة، وخاصة فكرة اللجوء الى توم... فهي لا ترغب في رؤيته.

كانت جيانيتا تعتقد ان انطوان سيبحث عنها لذا أصرّت عليها بالعودة الى انكلترا، لكن انطوان يكون قد نسيها الآن...

ويا لدهشتها عندما وجدت نفسها تفكر بحزن انها ليست سعيدة بلقائها بجيانيتا الذي سيتيح لها مغادرة فرنسا قريباً، وعاودها الحنين الى المنزل على

ضفة النهر، ثم فكّرت بيوم زفافها، ونزهتها مع انطوان... عندما القى برأسه على حجرها، والغداء في بوليو، ومشاريع افتتاحية البجع. انتهى كل شيء الآن... أصبحت ذكريات الماضي. فجأة ظهرت الحقيقة امام عينيها انها لا ترغب ابداً بالعودة الى بلادها والى توم، فبعد اقامتها الطويلة في فرنسا، ستبدو لها انكلترا، وخاصة اسكوتلندا، باردة وقاسية... باندفاع جنوني، ارادت العودة الى الشقة في سان لويس، الى: حنان ماري وقضاء حياتها بقرب انطوان، مهما كانت الشروط التي يفرضها عليها... لكنه اذا طالب بحقوقه مجدداً... هل هي حقاً مستعدة لطاعته؟ هنالك الكثير من النساء يخضعن لمشيئة ازواجهن، بدون حب، في سبيل المحافظة على الحياة العائلية... واعترفت لنفسها انها ستكون سعيدة للخضوع الى مشيئته واللجوء الى ذراعيه... لكنه لا يحبها.

ستجد حلاً لمشاكلها عند الصباح بعد مقابلة زوج جيانيتا، اما الآن ستتمتع بضيافة ربّة المنزل وتذهب الى النوم.

اطلّت رأسها من باب غرفتها، كانت سانسيا تتكلّم على الهاتف، فوجئت الخادمة برؤيتها وبدا عليها الارتباك. أغلقت سيلفي الباب بسرعة، ربما الخادمة تغتنم غياب سيدتها لاجراء مكالمة هاتفية خاصة، في أي حال هذا ليس من شأنها لكن قبل الذهاب الى الفراش، كان طوني بحاجة الى نزهة قصيرة، وصّتها جيانيتا بعدم الخروج، لكنها متأكدة ان انطوان لن يبحث عنها وكانت الطريق خالية... انتظرت انتهاء سانسيا من مكالمتها الهاتفية وتوجّهت بهدوء نحو الباب الخارجي بالرغم من احتياطها، سمعتها الخادمة وسارعت نحوها قبل ان تتمكن سيلفي من اغلاق الباب وراءها.

«لا يا آنسة... لا تخرجي».

حاولت سيلفي ان تفسر لها حاجة طوني الى نزهة قصيرة.

«انها خدعة، تحاولين الهرب، لكني لن ادعك تذهبين...».

«سأعود بعد خمس دقائق!».

كانت سانسيا تملك جثة كبيرة فامسكت بذراع الفتاة وجرّتها بقوة الى داخل القاعة، حاولت سيلفي ان تقنعها بضرورة الخروج كي يتمكن الكلب من قضاء حاجاته، بينما طوني ينظر الى الخادمة بعينين مفترستين

مكشراً عن انيابه...

اتكأت سانتيا على الباب مكتفة يديها وبدأت تتهم سيلفي مازجة الانكليزية بالايطالية وسمعت الفتاة كلمة بوليس.

«ولكن لم افعل شيئاً! ما علاقة البوليس في كل هذا؟».

كانت سانتيا مقتنعة ان الفتاة مجرمة هاربة من وجه العدالة، لقد سمعت نداءات في الاذاعة وفي الشوارع تصف الفتاة وكلبها.

«لكن لا علاقة لي بهذه النداءات، ربما هنالك شخص آخر...».

«لا يا آنسة، كان الوصف مطابقاً، خاصة فيما يختص بهذا الكلب المفترس».

بدأت سيلفي بالضحك، فعل انطوان كل ذلك في سبيل استرجاعها؟ فجأة تذكرت السيارة ومكبر الصوت في الشانزيليزيه والتبدل المفاجىء الذي طرأ في تصرفات جيانيتا بعد مرورها... لكن الايطالية لم تخبر البوليس، كانت بالعكس مستعدة لمساعدتها، تحاول بقدر الامكان ابعادها عن انطوان... وتذكرت سيلفي كلماتها في الفندق بمونتي كارلو:

«سأنتقم منك يوماً...».

اتيحت لها الفرصة الآن لتنفيذ تهديدها... شكّت اذا كان حقد الراقصة كافياً لدفعها على انفاق كل هذا المال في سبيلها والمخاطرة في وجه العدالة.

لكن هذا لا يفسّر تصرف الخادمة! ما الذي دفع سانتيا للاتصال بالبوليس؟

لأنها متأكدة الآن انها كانت تتكلّم مع الشرطة عندما فاجأتها على الهاتف.

«السيدة جيانيتا أمرتك بالاتصال بالبوليس؟».

بدا الارتباك على الامرأة وراحت تتكلم عن مسؤولية وواجبات المواطن تجاه بلده، بدلاً من الرد على سؤالها، وأضافت أن السيدة جيانيتا تملك قلباً رقيقاً لانها تستضيفها في منزلها.

اعتلت شفتي سيلفي ابتسامة ساخرة، فشعور جيانيتا تجاهها كان بعيداً كل البعد عن الرقة والطيبة، وادركت ان الخادمة تصرفت من تلقاء نفسها.

بدأ الخوف يسيطر عليها، فهي لا تملك اوراقاً ولا هويّة... متعاقب

على جنحة التشرد، وينتقم منها انطوان سامحاً للبوليس بايقافها وربما بسجنها لجرأتها على الهرب؟ ماذا سيحلّ بطوني؟

«اسمعيني جيداً، لم ارتكب أية جريمة ولن تربحي شيئاً من تسليمي للبوليس، ارجوك دعيني أرحل...».

«لا... من سيأخذ اذن المكافأة الكبيرة؟ لا تدفع عادة المكافآت من أجل الابرياء...».

يا لها من صدمة! مكافأة لمن سيعثر على آثارها! انها تحلم... هذه الاشياء لا تحصل الا في السينما عادة، امسكت برأسها، كيف الخروج من هذا المأزق؟

فجأة سمعت جرس الباب، البوليس... نظرت اليها سانتيا بتحدٍ وسارعت لفتحه.

استعدت سيلفي لمواجهة الأمر.

سمعت همساً في المدخل ثم رأت انطوان دي ميريكور.

احست بقلبها يتوقف عن الخفقان... اتى ليعيدها الى المنزل... منزلها!

غمرها شعور بالفرح ثم نظرت اليه بترقبٍ وكان وجهه خالياً من التهديد والغضب.

بدا لها تعباً وشاحباً ورأت حول عينيه تجاعيد لم تلاحظها من قبل.

«سيلفي! الحمد لله انك سليمة...».

«كنت قلقاً يا مايسترو؟».

«قلقاً!» جلس على المقعد وكأنّ رجليه لم تعودا تحملانه من شدة ارتياحه لرؤيتها ثم قال لها:

«كنت أنوي تجفيف نهر السين... ماذا أصابك يا سيلفي للرحيل هكذا؟».

ساورها شعور بالخجل وأشاحت بوجهها لتجنب النظر الى وجهه الوسيم.

«تعرف السبب...».

«هل تكرهيني الى هذا الحد؟».

ارادت أن تطمئنه وتقول له لا... انها متشوقة اليه وتريد أن يأخذها الى

المنزل. . . راحت سانسيا تسعل للفت انتباههما، ما زالت واقفة بقرب الباب، في انتظار مكافأتها.

نظر اليها انطوان بازدراء ثم التوت شفتاه بقسوة عندما رأى صور جانيتا على الحائط.

«انه آخر مكان توقعت أن أجدك فيه. كيف وصلت الى هنا؟ وأين جانيتا؟».

«مع زوجها، صادفتها في الشارع وعرضت عليّ مساعدتها».

«جانيتا عرضت عليك المساعدة؟».

«نعم، كانت سترسلني الى انكلترا».

«آه. . . الى السيد توم؟».

«ليس لدي سواه. . .».

«كانت اذن مقابلة سعيدة لكل منكما، عادت جانيتا تتصل بي في المدة الاخيرة للعودة الى الفرقة، لكن بالطبع رفضت طلبها وهي سعيدة بابعاد منافستها، لكن فشلت مخططاتكما، لم تحسبا حساباً للخادمة». ثم نظر الى سانسيا: «تعالي انك تنتظرين مكافأتك، اليس كذلك؟».

«نعم يا سيدي».

اخرج انطوان رزمة اوراق من جيبه رماها بوجه الخادمة:

«استمتعي بها».

ثم وضع يده على كتف سيلفي بقسوة ودفعها نحو الباب.

«ستأتين الى المنزل على الفور».

حاولت سيلفي السيطرة على اضطرابها وخجلها، انه يشتريها للمرة الثانية. . .

في المصعد راحت تسأله:

«ستخبر السيدة موريسون بالأمر؟».

«بالطبع لا. أرفض التعاطي مع هذه الامرأة».

«لكن كيف تأخذ سانسيا المال بهذه الطريقة؟».

«اني احتقر تصرفها لكني في الوقت نفسه اشكر طمعها وشراهتها، لقد وجدتك بفضلها».

رأت سيارة المرسيدس واقفة الى جانب الرصيف، حمل انطوان الكلب

ووضعه على المقعد الخلفي ثم استدار نحوها:

«ستجلسين بقربي يا عزيزتي».

وانطلق بها عبر شوارع باريس المزدحمة.

«كان يجب على ماري ان تمنعك من ارتداء هذه الثياب انك مثل الشحاذين».

«ماري ليست مخطئة، لم اطلب رأيها بالامر واعتقدتني عائدة، متى اكتشفت غيابي؟».

«لم ارك في المسرح فاتصلت بماري وأخبرتني انك خرجت منذ دقائق قليلة بثياب رثّة لم ترك فيها من قبل. . . ظننتك رميت هذه الثياب يا سيلفي».

«فوجئت عندما وجدتها في زاوية من خزانتي، اعتقدت ان السيدة ليسكو كانت قد رمتها، ثم انها الثياب الوحيدة التي املكها».

«لكن اشتريت لك».

«ما اشتريته لي لا أملكه يا مايسترو».

«انك طفلة غبية، لدى وصولنا سأهتم بحرق هذا السروال أنا بالذات».

«هل شاركت في البحث؟».

ارادت تحويل انتباهه عن مظهرها، سدّدت اليه نظرة جانبية ورأت اصابعه قابضة بشدة على عجلة السيارة، كان في اسوأ حالات غضبه.

«كنت في مخفر البوليس عندما اتصلت بهم هذه الامرأة».

اجابها بعد تردد بسيط، فهو لم يرغب الاعتراف بانه قضى نهاره يبحث عنها.

شعرت بمعنوياتها ترتفع بعض الشيء، كان فعلاً قلقاً ومهتماً بأمرها. . . ربما يشعر بشيء تجاهها، هل تصرف الليلة الماضية بدافع الغيرة؟

أحست بتسارع خفقان قلبها على هذه الفكرة لكن كلماته اعادتها الى الواقع المرير:

«كان باستطاعتك الهرب في وقت مناسب اكثر من اليوم، لقد أجّلت الافتتاحية، كسرت اليونورا كاحلها وكنت اريدك لتحلي مكانها لأنك

تمرّنت على الدور. ارغمنا غيابك على استبدال العرض وقبضت البالرينا التي تعاقدت معها للقيام بدور كلارا مبلغاً هائلاً للتعويض على هذا التأجيل، لكن قيمة هذا المبلغ لا تقاس الى جانب الخسارة التي سبّبها هربك على الفرقة. . . .»

تكلّم بهدوء. . . تصلّبت على مقعدها وقد تغلّب عليها الحزن، حزنت لانها اضاعت من يديها فرصة الاشتراك في العرض، وخاصة لأنها فهمت الآن سبب قلقه، فهو مهتم فقط بالمال الذي خسره وبتأجيل الافتتاحية.

«لماذا لم تعينّ راقصة اخرى للقيام بالدور؟».

«لم اجد راقصة تناسب ذوقي لهذا الدور».

«انك تبالغ، اني مجرد مبتدئة وقلت لي سابقاً اني لست جاهزة بعد للظهور امام الجمهور».

«كان هذا الدور يناسبك تماماً، وأردت ان اعرّفني على تصرفي معك».

شعرت بتلاحق انفاسها. . . هل سمعته جيداً؟ المايسترو المغرور، حاول او يحاول التعويض على تصرفه الليلة الفائتة، لا انها تحلم. . .

«يعني. . . .».

«انسي الموضوع».

«آسفة. . . .».

«ستحضرين الى المسرح في الصباح وربما تستطيعين الظهور في العرض بعد غده».

قطعا الجسر المؤدي الى جزيرة سان لويس، ورأت الاضواء المألوفة تتراقص على المياه، فعمّ قلبها المرح.

«تقصد يا مايسترو اني سأرقص أخيراً امام الجمهور؟».

«نعم، بالرغم من انك لا تستحقين ذلك».

«اني آسفة على كل المتاعب التي سببتها».

«بالفعل، بل من المفروض ان تخجلي ايضاً على تصرفك».

اوقف السيارة في الحديقة وانحنى نحوها ليفتح لها الباب، فاعترتها رجفة خفيفة لشدة قربه منها.

«سأمر في انتظارك. . . اذهبي للفور الى الفراش، فأمامك نهار متعب في الغد».

حلت طوني بين ذراعيها واضعة قدماً على الارض ثم استدارت نحوه هامسة:

«الست قادماً؟».

«لا اني مرتبط بمواعيد في الخارج».

لا تستطيع ان تتركه هكذا. . . ارادت ان تشكره وأملت انه سيقضي السهرة في المنزل حيث تجد فرصة للتعبير عن التغيّر الذي طرأ على شعورها نحوه، ارادت ان تقول له انها اكتشفت في هذا النهار المتعب انه اهم شخص في حياتها، وهي لا تريده ان يتخلى عنها ابداً، تريد. . . ماذا بالضبط؟ لكنها متأكدة انها لا تريد هذا الوداع الجاف. . .

«لا تخشي شيئاً يا سيلفي، لن أرقد في الشقة من الآن فصاعداً ولم يعد لديك أي عذر لمحاولة هرب اخرى. . . .».

«لا يا انطوان. . .» نظرت اليه بحزن واستطردت: «لن افعل ذلك ثانية، فلا حاجة لك لمغادرة الشقة. . اعني لا تحرم نفسك من اجلي. . . .».

خبأت وجهها في ظهر طوني شاعرة بالدماء تتدفق الى وجنتيها، وخشيت ان يسيء فهم قصدها. . .

نظر الى رأسها المنحني، وما زال نصفها في السيارة وشعرها الأسود متساقطاً على الكلب. . . رفعت رأسها امام صمته وكان نور السيارة يتلاعب في شعره ويرسل فيه تموجات ذهبية، لكن وجهه ظل مغموراً بالظلمة ولم تتمكن من رؤية تعبيره. . . نظر اليها انطوان كان النور يغشي وجهها ورأى امامه طفلة بريئة. . . فتنهد بعمق هامساً:

«لا داعي للتضحية لأني اعطيتك دوراً في العرض. انا ارفض هذا النوع من المكافآت من راقصاتي، عبّري عن شكرك بمواظبة العمل بجدية واخلاص، سأكتفي بذلك، ثم لا تقلقي بسببي، لست محروماً من شيء، هنالك امكنة كثيرة مستعدة لاستقبالي».

شعرت بوخزة غيرة اليمة، سيذهب الى صديقاته ويتركها لوحدها، تأسفت حتى على غضبه البارحة عندما أخبرته عن توم، لانها عاجزة الآن عن تحريك اي شعور فيه، حتى الغضب.

خرجت من السيارة لكنها بقيت واقفة بقرب الباب حزينة لمغادرته.

فسمعته يقول لها بنعومة فائقة:

«ادخلي يا سيلفي، انك تعبة، هل ستأتين الى المسرح غداً؟».

«نعم يا مايسترو».

نظرت اليه لكنه كان مشغولاً بتنظيف زجاج سيارته، ارادت ان تعترض على ذهابه، انها زوجته ولديها حقوق ايضاً... لكنه لا يحبها، وماتت كلمات الاعتراض على شفتيها...

٨ - متعلقة بك

مرت شهور بعد ظهورها في عرض انطوان الأخير، شهور مرهقة، تمرنت خلالها على ادوار جديدة، وهذه الليلة، ستعرض افتتاحية رونيه اخيراً... استأجر انطوان لهذه المناسبة مسرح الاوبرا... بعد باريس، سيتم عرضها في عدة عواصم في مختلف ارجاء العالم.

كانت سيلفي من بين البالرينات الأوائل في الفرقة، وبالرغم من تجربتها القصيرة في هذا المجال، كسفت زميلاتها بفضل نضارتها وجاذبيتها، لكن سحر رقصها هو الذي ميزها في الحقيقة عن غيرها، هذا السحر الذي جذب اليها انطوان منذ البداية.

كانت تحضر الى المسرح قبل العرض بساعات. تجلس لوحدها وتنفصل عن الحياة اليومية، داخلة مملكتها الساحرة... المملكة التي ترقص فيها.

علقت الى جانب المرآة صورة ميشلا، فبهذه الطريقة تشاركها والدتها نجاحها، لقد تحقق اخيراً حلمها... ستواجه بعد قليل الافتتاحية الكبرى... يا له من زمن عجيب... سترقص على المقطوعة التي اوحتها والدتها، المقطوعة التي وضعتها في طريق انطوان... الرجل الذي ربط حياتها به... يا لسخرية الدهر، فبعد ان وقعت بحبه، حبا لا امل فيه، عندها فقط استطاعت ارضاءه... لانها جسدت آلامها وجروحها في مقطوعة رونيه... كانت ليلة حاسمة... هل تحظى بحب انطوان اذا نجحت في النجمة البرية؟ انها النهاية السعيدة لقصة النجع...

كانت تعتبر نجمة صاعدة، واصرار انطوان على ابعادها عن الحياة الاجتماعية، اضفى عليها صورة غامضة في اعين الناس، حتى الصحافيون

لم ينجحوا في الحصول على مقابلة واحدة بالرغم من الحاحهم... تذكرت كلمات انطوان:

«الفضل ان تبقي بعيدة عن اعين الناس ومحاطة بالسر، فهذا يزيد من سحرك.. ولا ارغب ان تكتب الصحف عن تفاصيل حياتك....» ثم لاحظت في عينيه بريقاً ساخراً وهو يضيف: «او عن ارائك في الحب والزواج....».

لم تنزعج سيلفي للأمر، فهي بطبيعتها لا تميل الى الحياة المتصنعة والحفلات الرسمية، تفضل عليها هدوء جزيرة سان لويس حيث تتأمل لساعات طويلة تراقص الأضواء على مياه السين... وتحلم... تحلم حلمها المستحيل، انطوان عائد اليها ليبوح لها بحبه...

لقد احتفظ بوعوده، فمنذ يوم هربها، لم يبت ليلة واحدة في الشقة، عرفت من ماري انه ينزل في عدة فنادق ولمحت العجوز انه لم يكن لوحده... والا لكان رجع الى المنزل... اما سيلفي، فلم تحاول المدافعة عنه وفكرت انها سعيدة لعدم حضورها الحفلات التي كان يقيمها، فبذلك لا تتعذب لرؤيته مع غيرها من النساء.

نادراً ما كانت تلتقي به، باستثناء ساعات العرض في المسرح. قبل موعد عيد الميلاد، سألته:

«الا استحق معاشاً يا مايسترو؟».

كانت تريد شراء بعض الهدايا لماري وايفون، فهي تريد خلق جو عيد حقيقي للطفلة.

«لديك كل ما تحتاجين اليه وسأقدم لك معطف فيزون في العيد».

كانت هداياه تذكرها بسيطرته عليها، لكنها اجابته بتهذيب:

«شكراً... لكني بحاجة الى بعض الاستقلالية!».

«لهذا السبب بالضبط لا اعطيك معاشاً يا سيلفي».

«تخشى ان اهرب ثانية؟».

«فهمت ان السيد توم ما زال في الانتظار، ولا اريد التحاقك به، في حال امتلكتك الرغبة في رؤيته....».

انها نسيت توم! كتبت اليه مرة لتخبره بقطع المراسلة بينهما، وقبل الشاب بقرارها، ارادت ان تخبر انطوان بالأمر لكنها تراجعت عن رغبتها، لا لئن تريح باله وهي مجروحة بما فيه الكفاية من اهماله وقلة ثقته بها... يشس انها امرأة لكنه لم ينس توم ترافرزا تنهدت وهي تجيبه بصوت حالم:

«وقال لي انه سينتظرني الى الأبد....».

«ما زلت تفكرين به؟».

«اني مخلصة في حبي يا مايسترو».

««استطيع شكره اذن، فحنينك اليه زاد رقصك جمالاً، تستطيع الآن ان تقدم النجمة البرية».

يا الهي فهذا الرجل فخور باستبداده طالما يحمل البالية همه الوحيد... امر مضحك في النتيجة، لأنه يجهل ان حبها له كان رقصها في عينيه... السبب في ذلك. انها تفهم الآن ارتماء جنانيتا في احضان رجل آخر، كانت تريد نسيانه لكن هي، سيلفي دي ميريكور لا تستطيع الهرب... انها مقيدة بهذا الانسان الجذاب لمدى الحياة...

توصلت معه الى حل بشأن معاشها بعد مناقشات طويلة، فتح لها انطوان حساباً في متجر تستطيع شراء هداياها منه.

جاء العيد وخيب آمالها، لم تبد ايفون اي ابتهاج لكل الجهود التي بذلتها من اجلها الا عندما رأت علبة آتية من النمسا، فيها لعبة بلباس التيرول التقليدي...

«انها من العمة هيلدوغارد، ليتها ارسلت معها رسالة....».

اما سيلفي، فقد تلقت رسالة من والدها يخبرها فيها انه دخل في مشروع هام واذا اعطت جهوده ثمارها سيأتي لزيارتها في الربيع المقبل... ارسل اليها عنوانه هذه المرة، فأجابته على الفور لكنها لم تكتب عن حالتها النفسية، فوالدها ايضاً، اصبح بعيداً عنها.

تلا عيد الميلاد تمارين النجمة البرية المرهقة، كان انطوان يحضر ساعات التدريب، ويرشد ويقدم الحلول، واخيراً قاد فرقته المرهقة الى هدفه...

مرت جميع هذه الذكريات في مخيلة سيلفي وهي في غرفة التزيين، ثم فتح الباب ودخلت السيدة ليسكو، كانت قد جنت ملبسة لها، وزال النفور القديم بين المرأتين، كانت السيدة ليسكو خياطة ماهرة وسيلفي تقدر عملها. دخلت حاملة تمثال نجمة من الفضة مصحوباً بباقة ورد، في وقت

كان فيه الورد نادراً في باريس، وضعتها الى جانب الفتاة من دون ان تتفوه بكلمة، فنظرت سيلفي بدهشة الى هذه الهدية الثمينة ثم رأت ورقة معلقة فيها:

«الى بجعتي البرية التي التقطها واخضعتها. حظاً سعيداً يا عزيزتي، انطوان».

خبأتها في جيبها قائلة:

«انها هدية جميلة...».

قررت الاحتفاظ بالورقة، بالرغم من غموضها، لقد نجح في التقاطها لكنه لم ينجح بعد في اخضاعها، ستعود نارها الى الغليان من جديد وتثبت له ذلك. ربطت منديلاً حريرياً حول شعرها وبدأت بتزيين وجهها...

لدى انتهائها عكست لها المرآة وجهاً جميلاً، وفي العينين الواسعتين شع بريق من النشوة والقلق في الوقت نفسه. ساعدتها السيدة ليسكو في شد شعرها وراء اذنيها ووضعت لها قبعة مصنوعة من ريش ناعم ابيض.

ضحكت سيلفي على شكلها وهتفت:

«لا ينقصني سوى منقار يا ليسكو...».

لم تفهم المرأة مزاح سيلفي واجابتها بجدية:

«لا يا آنسة، المنقار يزيل سحرك!».

«لم تتوقعي ذلك يا ليسكو، اليس كذلك؟ كنت طفلة مشاغبة في مونتي كارلو وما زلت اتذكر خوفك من غضب المايسترو».

احست بحنين يشدها الى تلك الأيام، عندما كانت واثقة ان الرقص هو اهم شيء في حياتها، وعندما كانت تعتبر انطوان مجرد استاذ لها...

«انك الآن نجمة كبيرة وانا فخورة بخدمتك يا سيلفي».

ارتدت سيلفي ثوب الرقص الذي كان ايضاً مصنوعاً من الريش الأبيض الصغير، وبدت بعنقها الطويل مثل الطائر الملكي... كانت السيدة ليسكو تربط لها حذاءها عندما سمعت قرعة على الباب، فنهضت الخياطة لطرد الزائر، اياً كان، لكنها توقفت مكانها عندما دخل انطوان الغرفة...

كان مليئاً بالحماس، لقد خصص لهذه الافتتاحية دعاية قوية، معيداً ذكرى رونيه ووفاته... ونسجت الحكايات حول حب رونيه وميتيلا،

خاصة بعد ان اكتشف الناس ان ابنة ميتيلا سترقص الدور الرئيسي... ووصلت التقديرات أن سيلفي قد تكون ابنة رونيه، الذي مات، ولو بطريقة غير مباشرة، من اجل حبه... قصة عاطفية جميلة شوقت الجمهور الى رؤية الراقصة الصغيرة... اما متذوقو الباليه وعشاقها، فشككوا في نجاح الافتتاحية، الموسيقى كانت صعبة والباليرينا صغيرة في السن وتنقصها التجربة الكافية للقيام بهذا الدور، اذا اتكل دي ميريكور على النجاح بنسج القصص العاطفية، فهم على استعداد لأن يبرهنوا له خطأه... لقد اشتروا بطاقاتهم للاستمتاع بفن رفيع وموهبة نادرة، حسب الدعاية، لا لتذكر قصة حب بين مؤلف موسيقي وراقصة باليه...

نظر اليها انطوان ببريق من الاعجاب في عينيه وهمس:

«لكنك... لكنك جميلة يا سيلفي!».

انحنت امامه بحركة ساخرة:

«آمل ان يستحسن سيدي شكلي المتواضع!».

«اذا عادل رقصك جمال منظرك، ستشعلين السين الليلة».

«هذا حلمك يا انطوان، اليس كذلك؟».

«نعم يا سيلفي، انها اللحظة التي انتظرتها منذ ان شاهدتك ترقصين في ضوء القمر في موناكو... لقد اجتزنا معاً طريقاً شاقة ووصلنا هذه الليلة الى نهايتها لنقطف ثمرة اتعابنا...».

تجلد قلبها... فبعد هذه الليلة لم يعد بحاجة اليها؟ حتى اهتمامه برقصها سيتبخر؟ سيكون نجاحها اذن سبب تعاستها وفشل حبها...

«يجب ان اعود الآن، ان رئيس الجمهورية بالذات هنا الليلة، الى اللقاء يا عزيزتي، لا تخافي ستحققين نجاحاً باهراً اني واثق من ذلك».

انحنى امامها وكأنها ملكة ثم غادر القاعة تاركاً وراءه فتاة خائفة وقلقة...

«حان الوقت يا سيلفي».

افاقها صوت السيدة ليسكو من شرودها وخرجت لمقابلة جمهورها...

البجعة البرية واسمها الأصلي البجع سيمفونية مستوحاة من هذه الطيور. يبدأ المشهد الأول بعدد من الراقصين بثياب بيضاء يرقصون على موسيقى تذكر برفيف الاجنحة. يمكن اختصار القصة بالشرير، اي الصياد

الملاحق البجع. بصيب رصاصه الملكة وتعجز عن اللحاق بزوجها، ابقاها عنده سجينة. في النهاية تطلق سراحها زوجته الغيورة من اهتمام زوجها بالطائر، فيتبع الصياد آثار البجعة المجروحة ويقتل زوجها.

تبع المشهد مقطع رقصت فيه البجعة اليائسة، تفوقت فيه سيلفي بالتعبير عن المها وحزنها، وانتهت المقطوعة بموتها الى جانب زوجها من شدة الألم... كانت مقطوعة ساحرة، توحي بأبدية الحب واستبداد الغيرة...

لقد حركت شعور سيلفي الى اقصى اعماقها فرفعت فيها الفتاة الفن الى اعلى قممه، نجحت في رقصها بتجسيد حزن الانسانية وآلامها بكاملها.

اسدل الستار وتلاشى آخر ايقاع للموسيقى، كانت الصالة مستغرقة في سكون تام، وهو اكبر تقدير يمكن ان يقدمه الجمهور لفنان. ثم افاق المشاهدون من نشوتهم وتدفق التصفيق، تصفيق مجنون ورهيب.

اقترب منها لودوفيك:

«يهتفون لك للمرة السادسة يا سيلفي!».

قادها الى المسرح ورفع الستار من جديد، فتقدمت بمفردها بناء على طلب الجمهور واحست بخجل مفاجىء يغمرها ويسمرها مكانها... ثم جاء انطوان، ويا لدهشتها عندما رأت عينيه مغرورقتين بالدموع.. كان الجمهور يهتف اسمها، فانحنى امامهم ثم امامها ولمفاجأتها، رأت انطوان دي ميريكور المغرور والمستبد، يعانقها امام الجمهور الباريسي...

تدفق الناس الى غرفة التزيين قبل ان تتاح لها الفرصة لتبديل ملابسها، ولم تتمكن السيدة ليسكو من ابعادهم... اشخاص عديدون لم ترهم من قبل وحاولت الفتاة السيطرة على اضطرابها وخوفها من هذا التدفق الجماهيري عليها. وصل انطوان برفقة رئيس الجمهورية وزوجته، ثم تلاهم شخصيات اخرى وهي تشكرهم بطريقة اتوماتيكية ثم بدأت وجوههم تتوه امام عينيها.

تقدم نحوها شاب انيق وبدأ الوجه الى جانبه يتضح لها، جيانيتا...

كان انطوان يخاطب جيمس موريسون فهمست في اذن سيلفي:

«عدت اليه ايتها الغبية، كان يجب على البقاء في المنزل لمراقبتك».

استدار نحوها انطوان: «جيانيتا! لم تتح لي بعد فرصة لشكرك على انقاذ قطتي الضالة، اشكرك على ضيافتك لها».

هتفت الايطالية والغضب يشوه صوتها:

«اني نادمة على عدم اغراقها، هذا مصير القطط الضالة عادة».

نظر اليها جيمس بدهشة:

«لكن جيا! اعتقدت انك تحبين القطط...».

«لا احب قطط انطوان... انها قذرة».

التوت شفتا انطوان بقسوة وهمس بسخريته المألوفة:

«يجب اذن ان تتفقي معها يا عزيزتي».

خشيت سيلفي غضب الايطالية العاصف وكان هنالك اشخاص آخرون ينتظرون مقابلتها، فقادها زوجها نحوهم وكانت مارغريت داخلة من بينهم.

«لا استطيع ان اصدق عيني يا انطوان... انك ساحر».

«يعود الفضل لموهبة سيلفي يا مارغريت...».

«سنحتفل بهذا النجاح في الكافي دي باريس.

تستطيع ان تتركها الآن أليس كذلك؟».

تردد انطوان ونظر الى سيلفي:

«هل ترغبين بالمجيء معنا يا سيلفي؟».

«لا شكراً أنا متعبة».

«اذن يجب ان تستريحي لتتمكني دائماً من ارضاء الجمهور، اما انا فأستطيع السهر حتى ساعة متأخرة من الليل لاني لا اعمل...».

نطقت مارغريت هذه الكلمات مبتسمة لانطوان ثم اضافت:

«وبالطبع الاشخاص الاقوياء ايضاً، مثل مديرك لا يحتاجون للراحة...».

«لا انوي ازعاجكما يا آنسة، لكن لو استطعت اختيار مكان اكثر هدوءاً فحتى المدراء الاقوياء يعانون احياناً من صداع بعد عمل مرهق...».

«ليس مرغوباً بنا يا انطوان نستطيع الرحيل الآن...».

كان انطوان ينظر الى سيلفي محاولاً فهم ما يخبئه قناع وجهها الهادئ، وهمس في اذنها:

«هل انت متأكدة من قرارك؟ الا تفضلين المجيء؟».

«نعم... افضل العودة الى المنزل».

«وهنالك سيارة تنتظرك في الخارج وعنده ماري، لقد طلبت منها ان تأتي».

كانت سيلفي تعرف ان ماري وايفون جالستان في الصف الأمامي، لقد سمح انطوان للطفلة بالسهر لأول مرة، لكنها نسيت وجودهما حتى هذه اللحظة.

تقدمت ماري نحوها بسرعة وراحت تقبل يديها.

«رائعة، كنت رائعة يا حبيبتي، جعلتني ابكي...».

بدأت تمسح عينيها بمنديل اخرجته من حقيبتها ثم سمعت انطوان يقول لمارغريت:

«السيدة كوربيه صديقة عزيزة وتساعدني في المنزل...» ثم قال لماري:

«الآنسة دابليه... من هواة رقص الباليه...» اعتلت شفتيه ابتسامة ساخرة وهو يفوه بهذه الكلمات واضاف: «ستبدل سيلفي ملابسها وترافقك الى المنزل، انتظريها قليلاً فالسيدة ليسكو لا تسمح لأحد بالدخول... الآنسة آلن متعبة».

«لكن يا سيدي...».

«ارجوك يا ماري، اريد العودة الى المنزل».

«هل استمتعت بالعرض يا ايفون؟». سأل انطوان الطفلة بابتسامة ناعمة،

«نعم يا عم انطوان، لكن في الحقيقة لم تكن البجع هكذا...».

انفجر انطوان بالضحك:

«انك طفلة واقعية، فالقصص الخيالية لا تستهويك بالتأكيد».

كانت مارغريت تنظر الى ايفون بدهشة ثم اعترضت:

«ستبقى طوال الليل هنا يا انطوان؟».

«لا يا عزيزتي» ثم لمس خد سيلفي بنعومة وهمس لها: «نوماً هنيئاً يا بجعتي». استدار نحو ماري وايفون: «تصبحان على خير».

ابتعد مع مارغريت.

«ايتها الشقراء الدنيئة!» تمتمت العجوز بين اسنانها وسارعت سيلفي لاسكاتها وهي تنظر الى الطفلة:

«ارجوك يا ماري... لا تتكلمي هكذا امام ايفون».

«انها جميلة... تذكرني بالعمة هيلدوغارده».

يبدو ان انطوان يميل الى الشقراوات ذوات القوام الطويل... وبالمقارنة معها فهي بدون شك تبدو له صغيرة وخالية من الجاذبية... جلست امام الطاولة وبدأت بتنظيف وجهها.

«اجلسي يا ليسكو، اعطي ايفون الشوكولاته، لا اتذكر من قدمها لي».

اكلت ايفون الشوكولاته بشهية وعندما انتهت سيلفي من تنظيف وجهها، هتفت:

«عادت الآن سيلفي التي اعرفها، كنت غريبة بهذه الاشياء كلها على وجهي».

ثم اضافت:

«لقد نزلت الى الارض من جديد».

اكملت تبديل ملابسها، فنزولها الى الارض يعني العودة الى روتينية حياتها المملة عندما قبلها انطوان امام الجمهور تخيلت لثانية ان احلامها تحققت، لكنه ذهب مع مارغريت... تذكرت عندما قال لها انها ستشعل السين واعتلت شفتيها الجميلتين ابتسامة مريرة، فهي عاجزة عن اشعال نار حية.

لندن، برلين، فيينا، ستكهولم، بروكسل... مرت جميعها امام عينيها. فنادق فخمة، مسارح مضيئة، كانت جولة ناجحة ومتعبة في الوقت نفسه. لكن بين تمارينها والعروض والحفلات التي كانت تقام على شرفها، لم يفسح لها المجال للسياحة، ويتبع ذلك كله الانتقال الى عاصمة اخرى. تركت طوني في الشقة لكنها كانت مطمئنة بشأنه فايفون تهتم به جيداً. في لندن، حضر توم احد عروضها، وارسل لها باقة ورد مرفقة بكلمة:

«شكراً لتجربة لن انساها في حياتي. مع دائم حبي واخلاصي... توم».

لم يحاول رؤيتها ولا حتى مقابلتها لكن لسوء الحظ، دخل انطوان الى قاعتها ورأى الباقة مع الورقة قبل ان تتمكن من اخفائها:

«ما زال في الانتظار؟».

وخرج من الغرفة مغلقاً الباب وراءه بعنف قبل ان تتمكن من التفوه بكلمة واحدة تركت ليونورا الفرقة واصبحت سيلفي البالرينا الأولى لباليه كوسموبوليت. كان حبها لزوجها يكبر مع مرور الوقت وبعده عنها يزيدها شوقاً وولعاً به.

في بحيرة البجع جسدته بالأمير سيغفريد تفوقت ليلتها في الرقص، وعرفت الفرقة بفضلها نجاحاً باهراً...

في اوائل الخريف، عادت فرقة كوسموبوليت الى مونتي كارلو ونزلت سيلفي في فندق باريس. جلبت معها طوني هذه المرة بالرغم من اعتراضات انطوان، فالكلب في نظرها متشوق لرؤية بلده الأم، ضحك يومها انطوان وكالعادة ترك لها حرية التصرف فيما يختص بالأمور التافهة.

في الفندق لم يحظ طوني باهتمام من الخدم، فهو بنظرهم غير لائق بمقام بالبرينا مثل سيلفي، ولا ينتمي الى اية فصيلة معروفة. بالرغم من عدم وعيه هذا الفارق الطبقي كان الكلب يرد شعورهم بالمثل، في غياب صاحبته يتمدد على سريرها ناظراً الى الخدم بتحد، وهم لا يجرؤ ون على طرده خوفاً من المايسترو...

اما سيلفي، فكانت تعيش ذكرياتها القديمة بكل وجدانها. هنا كبرت آمالها في الرقص مع فرقة كوسموبوليت، وهنا ايضاً تزوجت انطوان... منذ ذلك الحين حدثت اشياء كثيرة حولت الطفلة البريئة الى امرأة ناضجة... وفى انطوان بوعوده ومنذ البداية حذرها من الحب... يومها قبلت شروطه بدون تردد كانت تجهل الحب وعذابه. اما الآن فهي مستعدة للتضحية برقصها ونجاحها في سبيل كسب قلبه...

في ذات ليلة، دخلت السيدة ليسكو غرفتها:

«هنالك شخص يريد مقابلتك ولا استطيع رفض طلبه، يقول انه والدك».

«والدي!».

سارعت الى الخارج قبل الانتهاء من تنظيف وجهها لترى فرانسيس واقفاً على العتبة، ارتمت بين ذراعيه ضاحكة وباكية في الوقت نفسه:

قبّل فرانسيس وجهها بشوق وسمعت السيدة ليسكو تقول:

«اني خارجة لاخبر المايسترو بوصول السيد».

لكن لا الاب ولا الابنة لاحظا غيابها... كان فرانسيس بغاية الاناقة.

«ابي! جئت اخيراً، يبدو ان اوضاعك تحسنت...».

«نعم يا حبيبتي... لكن لو غسلت وجهك سيكون الأمر افضل».

وراح يبحث عن منديل ليمسح وجهه الملوث.

«اعذرني، لكني فوجئت بوصولك... كم انا مسرورة برؤيتك».

وعادت ترتمي بين ذراعيه باكية...

«قرأت عنك في الصحف... كانت فرصة سعيدة يوم قابلت السيد دي ميريكور، كنت متأكداً انه سيكتشف موهبتك...» توقف فجأة عن الكلام ونظر اليها بعينين قلقتين: «هل يحسن معاملته لك؟».

«نعم يا ابي...».

تنهدت وراحت تكمل تنظيف وجهها شاعرة بعيني فرانسيس مصوبتين اليها، فهو يملك حدساً قوياً، لا بد من انه شعر بحزنها...

«ارى ان صحتك جيدة يا سيلفي...».

«اخبرني عنك، هل نجحت مشاريعك في البرازيل؟».

«كنت مسؤولاً عن ادارة بعض الممتلكات، ثم تزوجت من صاحبة الملك، او يصح القول، هي التي تزوجتني، انها امرأة ثرية، وسحرت بنبل وعراقة عائلتنا... لكن يجب ان لا اقول ذلك، لويزا امرأة طيبة... لكنها مصرة على تغييري...».

«سيكون عملاً شاقاً لا اعتقد انها ستنجح في تغييرك يا ابي».

«انا ذاهبان هذه الليلة الى الكازينو، ستلحقين بنا اليس كذلك؟».

«انطوان يصر على ان اذهب الى الفراش باكراً».

«انطوان؟».

«اقصد السيد دي ميريكور... انه، انه وصيي».

واضافت بسرعة عندما رأت بريقاً غريباً في عيني فرانسيس:

«علاقتي به شريفة يا ابي».

«انك الآن امرأة جذابة يا سيلفي، ويبدو لي الأمر غريباً بعض الشيء... سمعت ان السيد دي ميريكور متذوق للأشياء الجميلة».

«حقاً؟». ابتهجت لقوله لكن عاد الحزن الى صوتها وهي تضيف:

«انطوان لا يهمه الا رقصي، لديه نساء غيري في حياته...».

توقفت فجأة عن الكلام، لقد اعترفت باشياء لم تتوقعها، ورأت القلق على وجه والدها فاضافت بسرعة:

«لا تقلق، كل شيء يجري على ما يرام».

فتح الباب على كلماتها الأخيرة ودخل انطوان القاعة، احست سيلفي مرة اخرى بمدى جاذبيته. وقف فرانسيس لمصافحته وارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة، خاطبه انطوان بهدوء لكنها عرفت من التواء شفتيه بانزعاجه للأمر، وقررت الاستمتاع بالمقابلة.

«لا اعرف من تكون يا سيد، لذلك اطلب منك الرحيل، لا اسمح للآنسة الى استقبال الزائرين بعد الرقص، هذا يتعبها...».

تأكدت سيلفي ان السيدة ليسكو لم تخبره عن اسم الزائر...

نظر اليه فرانسيس وكان البريق المتراقص في عينيه يضفي عليهما لوناً ذهبياً.

«لم تتذكرني؟».

«لا...».

«بيننا قرض صغير، جئت لأسدده».

اخرج شيكاً من جيبه واعطاه لانطوان:

«اعتقد انه المبلغ المطلوب».

نظر انطوان الى توقيع الشيك ثم راح يجول بصره من الابنة الى الوالد ومزق الشيك قطعاً صغيرة بين يديه، فهتف فرانسيس رافعاً حاجبيه:

«لماذا فعلت هذا؟ سيلفي مدينة لك وهذا المبلغ يعيد لها حريتها ويعطيها استقلالها».

«حريتها؟ لن تستطيع استرجاعها، انها زوجتي».

كانت دهشة فرانسيس كبيرة نظر الى ابنته بعتاب:

«انك متزوجة!».

ثم عاد بنظره الى انطوان يتأمله بعينين مذهولتين، فابتسمت سيلفي محاولة فهم ما يجول في رأس والدها، كان يحاول اقناع نفسه ان هذا الرجل الأنيق امامه اصبح صهره، ويتساءل عن السبب الذي دفعه الى الزواج من ابنته.. فهما مختلفان تماماً... فهم من ملاحظاتها الأخيرة انه ليس زواجاً سعيداً... ندمت على كلماتها السابقة لكنها لم تتوقع اعتراف انطوان

بالأمر...

«لأسباب عديدة احتفظنا بسرية زواجنا، اطلب منك كتمان الأمر، اخبرتك بالحقيقة لاني لا اريدك ان تعتقد اني اغريت ابنتك».

«لم افكر بذلك ابداً».

اكد له فرانسيس، وسمع سيلفي تقول له:

«رأيت يا ابي، اني نجحت في كل شيء، ولا داعي للقلق».

«احتفظت بسر زواجنا من اجل سيلفي، انه يسيء بسمعة باليرينا ناشئة».

«حقاً؟ اعتقدت ان النجوم يرغبون في تعدّد الزواج، بهدف الدعاية».

سأله فرانسيس ببراءة وأجابه انطوان بنبرته الحيادية:

«اني احترم الزواج وقواعده ولا أجعله هدفاً للدعاية يا سيد...».

ضحكت سيلفي على كلمات زوجها ونظرت اليه بتحد:

«لا اعتقد انك تحترم الزواج على الاطلاق يا انطوان».

لم يعلّق على سخريتها بل اكتفى بسؤال فرانسيس:

«هل تحسّنت أوضاعك؟ يبدو أنك نجحت في مخططاتك في البرازيل».

«نعم، ولدي زوجة الآن، يجب ان تقابليها يا سيلفي، انها في انتظاري الآن، يا صهري العزيز ستسمح لسيلفي ولو لمرة، بالقدوم الى الكازينو، لويزا تنتظر مقابلتها بفارغ الصبر».

«سنأتي بالطبع، لكن اطلب منك عدم اخبار زوجتك عن حقيقة علاقتنا، أنت تعرف، لا تستطيع النساء كتمان سر ولا أريد أن يفشي الخبر».

«يخشى يا ابي ان يصل الامر الى آذان صديقاته».

«راقبي لسانك يا سيلفي».

كان التهديد واضحاً في صوته، لقد اشعلت كلماتها نار غضبه، ثم سيطر على نفسه وابتسم لفرانسيس:

«سنأتي فور انتهاء سيلفي من تحضير نفسها».

عرف فرانسيس ان ابنته ليست سعيدة، فاستدار نحوها وقال لها بنعومة:

«سأراك بعد قليل يا حبيبتي».

خرج من القاعة وجلس انطوان يشعل سيكارته.
«لماذا لا ترتدين ملابسك؟».
«السيدة ليسكو...» كان وجوده يثير ارتباكها.
«لا تدخل السيدة ليسكو الغرفة وانا موجود، انها امرأة مهذّبة...».
خلعت المنديل عن شعرها واستدارت لمواجهته:
«لماذا اخبرت والدي بالأمر؟».
«اعطيته السبب، انه والدك بالرغم من كل شيء، وأردت ان أفهمه ان علاقتنا شريفة، لكن لا تستطيعين التوقف عن الملاحظات التافهة؟».
«لا أريده ان يعرف ان...».
ماتت الكلمات على شفتيها وسمعته يقول:
«لا داعي لاعطائه التفاصيل... لا تبوحي باعترافات تندمين عليها، متشوهين صورة الشهيدة التي تحاولين ان ترسميها لعينيه... ووالدك ليس رجلاً غبياً، اذكرك بعدم اخلاصك انت...».
عاد الى نوم من جديد... لا يستطيع نسيان هذا الشاب! يا له من رجل حقود، كانت مسمّرة مكانها عندما نفذ صبر انطوان:
«ارجوك ابدأي بتحضير نفسك».
«وانت في الغرفة؟».
«لم لا؟ سأساعدك بغياب السيدة ليسكو...».
«لكن... لا».
«لا تحرجي مخالبك أيتها القطة، لا حاجة للخجل مني، اني زوجك».
توجه الى الخزانة واختار لها ثوباً اسود لبسته ثم استدارت فأغلق لها السحاب.
«لماذا الحاحك على كتمان زواجنا؟».
«نبأ زواجنا سيحدث ضجة كبيرة، وتدور الشائعات حول نزولنا في الفندق نفسه لكن في غرفتين الواحدة مستقلة عن الاخرى، فعيون الناس مصوّبة الينا بحكم مهنتنا، هل تريدين هذا يا سيلفي؟».
«لا ارى حاجة في ان ينزل كل واحد منا في غرفة مستقلة».
همست هذه الكلمات شاعرة بتلاحق انفاسها وتسارع خفقان قلبها، لم تجرؤ ان تنظر اليه...

«اتقصدين ان اعيش بقربك مثل أخ؟ الجواب لا يا سيلفي، واذكرك بأنك تكرهينني وقلبك مشغول برجل آخر، البرهان هربك من المنزل واضطراري للبحث عنك في كل باريس... اني محتاج اليك في الفرقة ولا اخاطر بفقدانك ثانية فربما هذه المرة لن اعثر عليك... ولا ارغب في ان تخبري والدك بوحشية تصرفي معك، انت لست ثابتة بعواطفك يا عزيزتي والافضل ابقاء علاقتنا كما هي».
غروره اذن يدفعه الى الابتعاد عنها! جعله يعتقد انها مغرمة برجل آخر وهو لم ينس ولن يسامحها عن هذا... الا اذا استسلمت له تماماً معترفة له بحبها، فعندها فقط تعيد له ثقته وتشفي جروح غروره...
لكنه يتكلم عن الحب باحتقار فكيف تجرؤ على البوح بشعورها؟
كانت تسرّح شعرها بحركة اتوماتيكية، وبدافع مجنون استدارت نحوه للارتماء بين ذراعيه، كان واقفاً خلفها ماسكاً شالها وبدا لها بعيداً، او متباعداً، فماتت رغبتها للفور وسمعته يقول لها بتهذيب بالغ:
«انتهيت اخيراً؟ اذكرك انهم في انتظارنا».
وضعت الشال حول كتفيها وشعرت برجفة خفيفة لكنها شدّت عزيمتها وتقدمت امامه نحو الباب...
كانت لويزا من النساء السمينات، بشعر اسود وعينين سوداوين مليئتين بالحنان. تزوجت لاول مرة في سن مبكرة بالرغم عن ارادتها وترمّلت في عز شبابها، فقررت الزواج ثانية...
عندما وظّفت فرانسيس لادارة اعمالها، اعجبت للفور بنبل منظره واناقته الانكليزية... كان يختلف عن رجال بلادها... وفرح فرانسيس بلقائها، في الواقع كان يحبها حباً كبيراً. عندما رأتها سيلفي وجدت انهما متناسبان الى اقصى حد... رأت في لويزا الزوجة اللاتينية المطيعة التي تحدّ من جنون زوجها، خاصة من حبه للقمار. احبت لويزا الفتاة على الفور واعجبت بها:
«انك انيقة، لكنك نحيلة جداً يا سيلفي».
«يجب على الراقصة المحافظة على رشاقتها».
«احمد الله اني لست راقصة» ضحكت واستدارت نحو زوجها: «لكن فرانسيس يحبني سمينة... اليس كذلك؟».

«بالطبع . . . » واستطرد وهو ينظر الى ابنته: «لا يستطيع الانسان الحصول على كل ما يرغبه».

«والسيدة آلن اجمل ما ترغبه».

اجابه انطوان بلباقة فنظرت اليه لويزا مبتسمة:

«لا اعتقد اني سأحب العمل مع رجل مثل مديرك يا سيلفي، اخشى ان يضربني اذا اخطأت».

«لم اضربها بعد، لكن قد يأتي يوم افقد فيه سيطرتي على نفسي واضربها».

لكن سيلفي لم تعلق على كلماتها.

لم يكتب لها فرانسيس عن زواجه بسبب بعض الاعتراضات من قبل عائلة لويزا.

وقالت لها لويزا:

«كنا ننوي دائماً القدوم الى باريس للبحث عنك، لكن تبيّن لنا انك اشهر من نار على علم، فالصحف لا تكتب الا عنك يا عزيزتي».

قضى آل آلن بضعة أيام فقط في مونتي كارلو قبل متابعة جولتهما في اوروبا، وقضت سيلفي معهما معظم اوقات فراغها، واجدة بعض الصعوبة في الهرب من اسئلة لويزا المحرجة عن علاقتها بانطوان. . . ولم يبح فرانسيس بزواج سيلفي احتراماً لرغبة صهره. قالت له زوجته انها متأكدة ان الفتاة واقعة في الحب لكنها لا تعرف اذا كان المايسترو ام غيره يشغل قلبها.

في اليوم التالي راح فرانسيس يراقب ابنته عن كثب، بالفعل انها نحيلة وشاحبة، وعندما صعدت لويزا الى غرفتها سألها:

«لست سعيدة يا سيلفي مع هذا الرجل، اليس كذلك؟ ما الذي يشغل قلبك؟».

«انك مخطىء يا ابي، لدي كل ما اريد. . . واكون ناكرة الجميل اذا قلت اني لست سعيدة».

«ما العلاقة بالضبط بينك وبين صهري؟».

«اننا متفاهمان» وامسكت يده مضيفة: «لا تقلق يا ابي، استمتع برحلتك مع لويزا، انها امرأة طيبة، وانت لا تستحقها، اياك ان تتركها من

اجل ولعك بالقمار».

«اطمئني، هي لن تتركني. . . لكني حزين لفكرة مغادرتك».

«سنلتقي قريباً، ربما في باريس. لماذا تنظر اليّ هكذا؟ اني بخير يا ابي، حظيت بفرصة سعيدة بلقاء السيد دي ميريكور ونجحت في التأثير عليه».

«لم اعد واثقاً انها فرصة سعيدة يا سيلفي».

«لا . . . انك مخطىء، ألم تشاهد النتيجة يا أبي؟ اني راقصة معروفة الآن وحققت أمنيتي وأمنية والدتي».

«كنت حذقة فعلاً، عرفت كيف تستميليه».

صوّب اليها عينيه محاولاً قراءة ما يجول في خلدها، لكنها لم تبد شيئاً واحتفظت بهدوء مظهرها، ثم ضحكت، لكن ضحكتها لم تكن طبيعية وقالت:

«رأيت اذن اني على حق؟ هل نسيت اني ابنة مقامر؟ لعبت جميع الأوراق».

لكنها لم تلعب «آس» القلب.

غادر آل آلن الى اسبانيا، وقبل رحيلها، تكلّم فرانسيس مع صهره لمدة طويلة.

٩ـ تحت تصرفك

بعد رحيل فرانسيس ولويزا لاحظت سيلفي تغيراً بسيطاً في تصرفات انطوان تجاهها، كانت تلتقي به في المسرح في معظم الاحيان. . . خلال فترات التمارين الصباحية، يجلس ويراقبها بتعبير لم تستطع تفسيره وقد اختفت من عينيه نظرة الناقد المألوفة. . . ذات يوم، كانت وحدها في قاعة التمارين، فاقترب منها وعلى شفتيه ابتسامة ناعمة.

«انك سعيدة بالرقص يا سيلفي؟».

«نعم يا مايسترو، انها رغبتي منذ البداية».

أجابته متحاشية النظر اليه، وشعرت انه لم يقتنع بالأمر، لكنه لم يقل شيئاً، نظر اليها طويلاً ثم خرج من القاعة. . . تساءلت عن الدافع الذي حمله الى الاهتمام بها فجأة، لكنها لم تجد جواباً مقنعاً لتساؤلاتها حتى وصلت البارونة فون اكيبورغ الى فندق باريس.

وصلت يوم رحيل آل آلن بزيها الاسود الذي كان يبرز بياض بشرتها. نادراً ما كانت تلك المرأة الشقراء المشوقة القامة، تغادر غرفتها.

ترمّلت من فترة قصيرة وجاءت ناشدة الراحة في الجنوب الفرنسي.

في اليوم التالي لدى وصولها، خرجت سيلفي برفقة طوني لنزهة قصيرة، وعندما وصلت الى الحديقة، رأت انطوان بصحبة الارملة التي خلعت الحجاب الاسود عن وجهها. كانت تضحك وتتكلم بحماس وانطوان ينصت اليها بابتسامة مهذبة على شفتيه.

اختبأت سيلفي وراء شجرة صنّبر شاعرة بقلبها يتوقف عن الخفقان، علاقة جديدة لانطوان؟ أم قديمة يحيي ذكراها من جديد؟ منذ وصولها الى

مونتي كارلو لم تره بعد برفقة امرأة، لكن البارونة تنزل في الفندق نفسه. بعد انتهاء العرض في المساء، دخل انطوان برفقة البارونة الى غرفة سيلفي.

«سحرت السيدة برقصك يا سيلفي والحّت لمقابلتك».

«رقصك جميل يا آنسة، ترقصين وكأنك تملكين كل اسرار الحب، جامعة بين النشوة واليأس في آن واحد. . .».

«ربما املك اسراره يا سيدتي».

ضحك انطوان على كلماتها ثم استدار نحو البارونة:

«لا تصدقيها يا هيلدوغارد، اني حريص عليها من التجارب والحب منذ ان اشتغلت معي، لا اسمح لها بالمجازفة في مهنتها».

«حقاً يا انطوان؟ لا استطيع ان اتخيّلك في دور الملاك الحارس».

انها تناديه باسمه! المعرفة قديمة اذن بينهما. . . فجأة تذكرت ايفون القصر في النمسا، العمة هيلدوغارد وتذكرت ايضاً بغصة هذه المرة، ذهاب انطوان الى سالزبورغ في الصيف الماضي. هل جاءت البارونة طلباً للراحة في مونتي كارلو من أجله؟

قبل ان تخرج من القاعة عرضت على سيلفي ان تأخذ الشاي معها يوماً، فهي تعيش حياة هادئة ومنعزلة بعض الشيء بسبب ترمّلها وأضافت انها متأكدة ان سيلفي تفهم الوضع. . . لكن سيلفي بدأت تفهم اشياء كثيرة. . . فالبارونة ارملة الآن. . . حرة من جديد. . . خرجا من القاعة ورأتها تمسك بذراعه وانطوان ينظر اليها بحنان.

اخذت سيلفي الشاي في غرفة البارونة وكان يوماً حاراً، اسدلت فيه الارملة ستائر نوافذها، فبدت لها الغرفة باردة وقاتمة.

تحدثت هيلدوغارد عن الباليه ومنطقة الكوت دازور ثم سألتها عن حياتها في باريس.

«كنت تسكنين مع السيدة كوريبه كما اعتقد، كيف حال الصغيرة؟».

سألتها البارونة عن ايفون محاولة اخفاء القلق عن وجهها، ولاحظت سيلفي شبهاً بين الارملة والطفلة. . . بالطبع ان البارونة والدتها. . . لكن هل انطوان هو حقاً والدها؟ تمالكت أعصابها وأخبرتها بهدوء عن ايفون. . . وطمأنتها عن صحتها.

«كيف تقضي وقت فراغها؟».
«تلعب مع طوني، انها تحب الحيوانات».
«ربما تستطيع قريباً الحصول على كلب خاص لها، يجب ان اتكلم مع انطوان عن مستقبلها. . . اني اهتم بها لأنها سكنت معي سابقاً».
«اخبرتني بذلك، انك الشخص الوحيد الذي يحظى بحبها».
«حقاً؟». بدا الانشراح على وجه هيلدوغارد وقالت: «عندما أتت كان زوجي مريضاً، كان في المستشفى، فهو لا يحب الاطفال».
لم تستطع سيلفي تمالك نفسها، نظرت مباشرة الى هيلدوغارد، وهتفت:
«انها ابنتك، أليس كذلك؟».
تدفقت الدماء الى وجه البارونة ثم اجابتها بجفاف:
«أرى انك تستخلصين النتائج بسرعة يا آنسة».
«يبدو لي الامر واضحاً».
«كان من الافضل ان لا أتطرّق الى الموضوع اطلاقاً، خانتني عاطفتي، انت على حق يا سيلفي، استطيع ان ادعوك هكذا؟».
«انه شرف لي يا سيدتي».
«كان زوجي عاجزاً لعدة سنوات، كان زواجاً شكلياً، بالاسم فقط، هل تفهمين؟».
كنت صغيرة، لم يكن هنالك حب من الجهتين. . . ثم التقيت به. . . ووقعت في حبه. . . كنت صغيرة يا سيلفي، لا تكوني قاسية بالحكم عليّ».
«لا يا سيدة، اني ألومك فقط لترك ابنتك».
«لم يكن هنالك حل آخر. . . كان كارل بحاجة الي ولم أستطع تركه. ولم أستطع ايضاً ان اخبره عن ايفون، عندئذ عرض عليّ انطوان الاعتناء بالطفلة وأكد لي ان ماري تهتم بها جيداً. . . هل هذا صحيح؟».
«نعم ماري تحبها كثيراً، لكن ايفون تعرف أنها غريبة بالنسبة اليها، تعتبر نفسها يتيمة، وهي بحاجة الى شخص يحبها ويجعلها تشعر ان وجودها مرغوب به حقاً».
دافعت سيلفي عن ايفون دفاع الذي ذاق طعم الحرمان ومرارته،

الحرمان من الصداقة والعاطفة والحب، نظرت الى عيني هيلدوغارد الزرقاوين وكانت ايفون تملك عيني انطوان ولونها الداكن، فسألتها:
«توفي زوجك الآن، الا تستطيعين استرجاعها؟».
«آمل هذا، وآمل أيضاً الزواج من والدها. . . بعد كل هذا الوقت، انه رجل رائع يا سيلفي، بقي وفياً وانتظرني كل هذه السنين، لكن هنالك بعض المعاملات يجب انجازها قبل أن نجتمع. . . نحن الثلاثة».
أحست سيلفي بالغرفة تدور حولها، هذه المرة توقف حقاً قلبها عن الخفقان. . .
نظرت الى الوجه المستغرق بأحلامه شاعرة بكراهية عميقة للمرأة الشقراء قبالتها، أرادت ان تصرخ بأن أنطوان زوجها، انه ليس وفياً، لكنها انفجرت بالضحك، ضحكة جنونية جعلت هيلدوغارد تفيق من شرودها وتنظر اليها بعينين مذهولتين.
«ما الامر يا سيلفي؟ هل قلت شيئاً مضحكاً؟».
«لا. . . ابداً، تذكرت حادثة طريفة حصلت مع ايفون وطوني».
لم تقتنع البارونة بكلماتها، ووقفت سيلفي عن مقعدها:
«اعذريني سأعود الآن، يجب ان استريح قليلاً قبل العرض».
«انك تبدين متعبة. . .».
حاولت البارونة تقديم خدماتها لسيلفي، لكن الفتاة اصرّت على الذهاب شاعرة بتزايد نفورها من هذه المرأة.
ارتمت على سريرها وراح طوني يلحس دموعها فنظرت اليه قائلة بصوت متقطع:
«اني اتمنى العودة سنتين الى الوراء يا طوني، فكان قلبي خالياً وسعيداً، وكم اتمنى لو لم التق بانطوان دي ميريكور في حياتي. . .».
لكنها التقت به ووافقت على ربط حياتها بحياته. . . والآن لا تستطيع فسخه. . . لقد بدّل هذا الرجل حياتها، في الواقع كان حياتها، حتى في رقصها كانت تفكر به، لأنه صنعها. . . اذن جاءت هيلدوغارد الى مونتي كارلو آملة الزواج منه. . . يجتمعان من جديد ويعيشان مع ابنتهما. . . نهاية حب سعيدة. . لكن البارونة تجهل ان أنطوان متزوج وتجهل انها تمسك زمام الأمور، وليس لديها أية نية للطلاق منه، ستفهمه ذلك في

أقرب وقت ممكن.

رقصت هذه الليلة بإبداع، وبعد العرض سمح لها انطوان بحضور الاحتفال في مطعم الكازينو. التقت بشخصيات هامة من بينها أمير الامارة الذي اصرّ عليها بالجلوس قربه اثناء العشاء.

بعد الأكل غادر الأمير ورأت انطوان يتقدم نحوها مرافقاً أميركياً عرّفها عليه على أنه مدير فرقة باليه شهيرة في نيويورك.

«لقد اعجب السيد برقصك يا سيلفي ويرغب في توظيفك بفرقته لبضعة أشهر».

«لوحدي؟ بدون باقي الفرقة؟».

«نعم أنت وحدك».

لم تتخيل نفسها ترقص مع فرقة أخرى... فقالت بدون التمكن من امتلاك نفسها:

«لكنك لن تسمح لي بالذهاب...».

«لن أقف في طريقك... تعاقدك مع هذه الفرقة يشكّل خطوة كبيرة لك، أنصحك التفكير بالأمر».

رمقته بنظرة دهشة ثم بدأت الامور تتضح لها، انها الخطوة الاولى لفسخ ارتباطها لم يعد بحاجة اليها الآن، لقد نجح في افتتاحية صديقه، وسيعثر على راقصة جديدة تخلفها واطلاقها... انتهى دورها معه.

سمعت الأميركي يسأله:

«متى ينتهي تعاقدك مع الآنسة آلن؟».

«تستطيع الالتحاق بفرقتك على الفور اذا رغبت في ذلك».

سددت اليه نظرة خاطفة علّها تقرأ في تعابيره ما يريح قلبها، لكن القناع البارد عاد وانسكب على وجهه، ارادت ان تعترض وتقول له انها ترفض الذهاب الى اميركا، وترفض الرقص لأي مدير آخر، لكنه لن يستمع اليها، فنظرت الى الأميركي:

«سأفكر بالأمر يا سيد».

«ربما نأخذ الغداء معاً ونتكلم عن شروط الاتفاق».

«ربما» ابتسمت بتحد واضافت: «في أحد الايام».

«لكن يا سيلفي لا يجوز ان تتركي المدير ينتظر طويلاً».

ثم استدار انطوان نحو الاميركي وقال له انه سيقنعها بالأمر، محدداً موعداً للغداء بعد يومين واضاف:

«تستطيع ان تجلب معك العقد لتوقيعه».

عادت نار غضبها الى الغليان، حقاً يعتبر نفسه سيدها، انه لا يستطيع ارغامها على التوقيع وستفهمه ذلك في اقرب فرصة.

عادت الى الفندق بأفكار سوداء لكنها لم تره هذه الليلة، كان في الكازينو برفقة زميله الاميركي.

عند الصباح تأخرت عمداً عن تمارينها، فجاء انطوان الى غرفتها مقطب الجبين:

«لم ارك في المسرح يا سيلفي».

كانت جالسة بقرب النافذة تتأمل اوراق الشجر لم تقف لدى دخوله بل اكتفت بالقول بدون النظر اليه:

«كنت متعبة».

«اريد التكلم معك بموضوع جدّي».

«اذا قصدت العقد مع المدير الاميركي، فلا حاجة لك بتضييع وقتك، لن اذهب الى اميركا».

«هنالك شيء آخر احببت التكلم فيه»

«انني مصغية».

«سيلفي... هل تواصلين مراسلتك مع هذا الشاب، نسيت اسمه توم اعتقد».

«لقد منعتني من ذلك!».

«لكن هل احترمت حقاً رغبتي؟» امام صمتها استطرد بنبرته ذات الرنين الساحر: «لقد فكّرت بالامر طويلاً يا سيلفي... كنت قاسياً معك».

«لا يا انطوان لم تكن قاسياً، بل متوحشاً».

ساد صمت بينهما، كلاهما كانا يفكران بتلك الليلة... الوحيدة التي قضياها معاً... ثم رفع عينيه نحوها:

«سيلفي لم تفهمي قصدي... اعني اذا كان قلبك مشغولاً بهذا الشاب، لن أمنعك من الالتحاق به».

انه حقاً يغيّر الامور من أجل استعادة حريته! تذهب الى توم، فيطلّقها

ويتزوج من هيلدوغارد... انه مستعد للتخلص منها، يا الهي الى أي حد هو مخادع!

«وماذا يحل بسفري الى أميركا؟ آخذ توم معي».

«لا أعتقد ان مديرك الجديد يرى مانعاً في ذلك».

«ويترك توم عمله في لندن؟».

«سيرى ربما ان الزواج من باليرينا شهيرة يغنيه عن العمل».

«لم يخطر على بالك ان توم شاب شريف... ربما لن يقبل الزواج من امرأة مطلّقة».

«يقبل بذلك اذا كان حقاً يحبك، هو الذي اقترح عليك فكرة الغاء الزواج».

«لولا جنونك... في تلك الليلة، كان بامكاننا الفوز».

«سيلفي... انك تتجاوزين حدودك».

«وأنت ايضاً».

«ستتركين هذا الكلب على الفور وتصغين الي جيداً».

«الديك شيء آخر تحب أن تقوله لي؟ لا أريد الاستماع اليك، لم اتوقع... لم اتوقع يوماً انك ستطلق سراحي».

«قلت لك ندمت على تصرفي معك، لم اكن عادلاً. بحقك، لقد آذيتك بما فيه الكفاية، حطّمت قلبك وجرحت احساسك، لن أسامح نفسي».

هل أخبر هيلدوغارد بأمرهما؟ امتلكها الحزن فجأة، حبه للنمساوية غيّره تماماً، وهو يدّعي الندم ووخزة الضمير لاسترجاع حريته... لكنه اخطأ في مخططاته، فهي لا تحب توم، ولن تحبه يوماً.

«جعلت منك راقصة يا سيلفي، لكنك لست سعيدة، حتى والدك لاحظ ذلك».

نظرت اليه بدهشة، اذن تحدث عنها مع والدها! سمعته يضيف:

«كنت أراقبك عن كثب في المدة الأخيرة الرقص وحده لا يملأ حياتك، فانت بالرغم من كل شيء مثلها، مثل ميشيلا، كان الحب أهم شيء في حياتها وحسب قول والدك، لم تندم يوماً على ترك الرقص. كانا سعيدين حتى وفاتها. وأنا مستعد لأعيد اليك سعادتك يا سيلفي».

«وأرجوك كفاك خبثاً... لم تبال يوماً بسعادتي ولن أصدقك... كل ما

تريده هو التخلص مني لأنك لم تعد بحاجة لي... لم أرغب الزواج منك، أنت من اصر على ذلك ولن أقبل الآن أن ترميني بعيداً عنك لأن الامر يناسب مخططاتك... فارجوك لا داعي للكذب ولهذا الاهتمام المفاجىء بوضعي».

«سيلفي! ماذا أصابك؟ لم أفهم قصدك».

«فهمت قصدي تماماً يا انطوان... أرجوك اخرج من غرفتي الآن... اني اكرهك».

ركضت نحو غرفة تومها مقفلة الباب وراءها، وراح انطوان يطرق على الباب ويناديها، لكنها لم تجب، وعندما رأى طوني غضب صاحبه بدأ بالنباح، فسمعت انطوان يشتم الكلب ثم تلا ذلك الصمت التام.

فتحت الباب بحذر ليتمكن طوني من الدخول وجلست تفكر بوضعها.. سيندم انطوان على موعد الغداء الذي اقترحه.

عند العصر، ركبت الباص وذهبت الى نيس... ذهبت لشراء بعض الملابس، سترتديها في الغد لمقابلة الأميركي، وبعد تمارينها الصباحية تلاقيهما في المطعم.

عادة كان انطوان يلحّ على انتقاء ملابسها، أما اليوم فقررت الاختيار لنفسها وسيرى السيد دي ميريكور الفرق مذهلاً. انتقت ثوباً أحمر مطرزاً بخيوط ذهبية، لبست معه كفين سوداوين وحذاء أسود ثم وضعت قبعة صغيرة على رأسها، كحّلت عينيها بخط طويل متأكدة ان انطوان سيكره شكلها، ولحقت بهما الى المطعم.

لا داعي للقول ان جميع العيون صوّبت اليها عند دخولها مطعم الكازينو، تقدمت ببطء وراء الخادم الذي قادها الى مائدة الرجلين.

كلاهما وقفا عندما رأياها ولم يتمكن الأميركي من اخفاء دهشته لمنظرها، اما انطوان كالعادة فكان محتفظاً بهدوئه.

خلال الغداء، تكلّم الاميركي عن فرقته ومشاريعه ثم بدأ ينشد صفات وجمال بلاده. اما انطوان فكان ينظر من حين الى آخر الى كفّيها اللذين لم تخلعهما لكنه كان مهذباً ولبقاً لعدم لفت انتباهها الى هذا الخطأ. بعد انتهائهم من الاكل أخرج المدير الأميركي أوراقاً من حقيبته ثم قدّم سيكارة لسيلفي.

اخذت السيكارة واشعلتها، فهمس انطوان في اذنها:
«ما معنى هذا العرض السخيف؟».
نفخت دخان السيكارة في وجهه واجابت:
«ستفهم بعد قليل».
كانت شروط العرض مغرية وعندما رأت قيمة الراتب الذي يعرضه عليها هتفت:
«هل استحق هذا المبلغ؟».
«آمل انه يقارب راتبك الحالي».
«لا أقبض راتباً. . . اني زوجة السيد دي ميريكور».
خلعت كفّيها وبان المحبس في اصبعها.
من الصعب تحديد من من الرجلين دهش اكثر. . . اخيراً تمتم الاميركي:
«انها مفاجأة، لم يكن لدي أية فكرة. . .».
«زوجي يكره الدعاية ولا يتحمّل انّ يعرض حبنا على أعين الناس. . . لكني اعتقدت انه من الضروري ان تعرف الحقيقة قبل ان تواصل النقاش. . .».
«اخرسي يا سيلفي. . .».
قاطعها انطوان بعنف لكنها سددت اليه نظرة باردة وقالت:
«لا، لن اسكتْ يا انطوان. . . لقد سكتّ طويلاً، حان الوقت لأن تعترف بحقوقي» ثم استدارت نحو الاميركي:
«اعتذر يا سيد، لن استطيع قبول شروطك، فأنا لم أتزوج إلاّ من فترة قصيرة ولا أتحمّل فكرة الابتعاد عن زوجي».
وقف انطوان:
«اعذرنا يا سيد، سأرافق زوجتي الى الفندق، لا أعتقد أنها بخير»، ثم أدرك انه أكّد قول سيلفي فاضاف بسرعة «اعني الآنسة آن».
«السيدة دي ميريكور» صحّحت سيلفي.
أمسك بذراعها بقبضة قوية وهمس بين اسنانه:
«تعالي يا عزيزتي».
رفعت اليه عينين بريئتين:

«اني بخير يا حبيبي. . . لا يجب ان تترك السيد لوحده بعد ان دعوته الى الغداء».
انتبه حينها انطوان لاضطراب ضيفه فعاد وجلس مبتسماً وقال له ان سيلفي على حق، فهو لا يحب ان يتدخل الناس في حياته الشخصية واضاف:
«في الواقع ما زلت أعتقد أن الوقت لم يحن للاعلان عن زواجنا، أريد ان تعرف سيلفي الشهرة بفضل موهبتها فقط».
اعجبت سيلفي ببرودة أعصابه، جاءت الى هذا الغداء وفي نيتها استفزازه، بدأت بثيابها ثم باعترافها بزواجها للأميركي، لكن انطوان تمكّن من السيطرة على غضبه، ثم استدارت نحو المدير وقالت:
«تفهم الآن لماذا أرفض توقيع العقد، أقصد ما زلنا في شهر عسلنا».
سدد الأميركي نظرة لوم لأنطوان:
«قبل حضور السيدة دي ميريكور بدوت متحمساً لقبولها العرض. . .»، ثم استدار نحو سيلفي واستطرد: «ربما زوجك يرى الأمور بطريقة مختلفة، انه طموح بما يختص بمهنتك».
«بدون شك يا سيد، لكن الفراق يسيء بمهنتنا، يقود الى التجارب والاغراءات ولا تنسى ان المحيط الاطلسي سيفصل بيننا اذا قبلت الذهاب الى اميركا، وعندها سيقلق كل واحد منا بشأن الآخر، والقلق والوحدة يؤثران على رقصي. . . لا يا سيد، أعتقد أن زواجنا أهم من تعاقد جديد بالنسبة اليّ».
«اني اكره التدخل بين رجل وزوجته يا سيدة».
«سأتكلم معها» اكد له انطوان: «سأقنعها بمصلحتها».
«لا يا صديقي، اعتذر لم يعد لدي الوقت الكافي واعتقد ان سيدتك لن تغيّر رأيها».
غادر الأميركي ونظرت سيلفي بترقب الى زوجها، ستواجه الآن غضبه الصاعق. . .
لكنها مستعدة لخوض المعركة والانتصار على هيلدوغارد.
«حاولت ان اساعدك يا سيلفي وفعلت كل ما بوسعك لافشال مخططاتي، ستعود الى الفندق لتفسري لي بهدوء معنى تصرفك».

«ستعرف كل مونتي كارلو بعد اليوم أننا متزوجان».

ثم رأت رجلاً يتقدم نحوهما ويخبر انطوان بمشكلة صغيرة في المسرح تتعلق بالكهرباء، حضوره كان ضرورياً لأن عمال الكهرباء يهددون بالاضراب».

«سألحق بك على الفور» ثم قال لسيلفي بالانكليزية: «سأهتم بأمرك فيما بعد، خلال هذا الوقت عودي الى الفندق واخلعي هذه الثياب المخيفة... من أين اشتريتها؟».

«من نيس».

«كيف دفعت حقها؟».

«لم أدفع شيئاً، ستصلك الفاتورة قريباً».

ضحك انطوان:

«انك حقاً ابنة الشيطان... اراك فيما بعد».

توجهت سيلفي بحزم نحو الفندق وكانت الشمس ترسل بريقاً ذهبياً في ثوبها.

توقعت نقاشاً حاداً مع انطوان، معاتبات واتهامات مريرة والآن تأجل ذلك وبدأت تشعر بالخجل لتصرفها. مستغرقة في افكارها، لم تر السيارة المسرعة الآتية نحوها ولو لم يمسك بها احد المارة لكانت صدمتها. نظرت الى مخلّصها وما زالت ترتعش من شدة الصدمة فرأت رجلاً وسيماً طويل القامة ينظر اليها ببريق من المرح في عينيه الداكنتين.

«اشكرك يا سيد... لقد أنقذت حياتي».

«تعالي واستريحي قليلاً اني انزل في فندق باريس، انك ترتجفين».

لم يبد عليه انه عرفها فسألته:

«انك هنا منذ وقت قصير أليس كذلك؟».

«نعم. اسمي هير رويم».

«وانا سيلفي... الكل يدعوني هكذا».

«واخذت رقم السيارة المسرعة اذا اردت تقديم شكوى انا تحت تصرفك».

واعطاها ورقة صغيرة كان عليها اسمه وعنوانه.

«لا لم أصب بأذى.. لن اتقدم بشكوى».

نظرت الى الورقة بين يديها ثم الى العينين الداكنتين وقالت:

«اذن انت محام، مهنة مثيرة بالتأكيد».

«يتعلم خلالها الانسان الكثير عن البشر وطبيعة الناس، خاصة في اختصاصي».

«وما هو؟».

«الطلاق... نجحت بفك أكثر من ارتباط بدا فسخه مستحيلاً».

«انك في عطلة يا سيد؟».

«ليس بالضبط، سأقضي بعض الوقت هنا واغتنم الفرصة لاجراء بعض البحوث عن قضية اشتغل عليها».

احست برجفة تعتري كيانها ثم رأت خادم الفندق يقترب منها:

«البارونة فون اكبورغ في انتظارك يا سيدة».

نهض الشاب بسرعة وانحنى امام سيلفي:

«ستعذرينني؟ لدي موعد عاجل».

«ارجوك لا تتأخر بسببي... وشكراً مرة أخرى».

لم يكن لديها أي شك في السبب الذي دفع هيلدوغارد على طلب محام. انها تريد استشارته لفسخ ارتباطها بانطوان، ربما طلبت المحامي بالاتفاق معه، ولا عجب اذا غضب انطوان عندما أعلنت عن زواجهما، على الأقل أوقفته عن ارسالها الى اميركا بينما هو يلغي زواجهما من وراء ظهرها. هربت منه مرة، ولو استسلمت له لكانت علاقتهما مختلفة، لقد فات الأوان انه ابتعد عنها، ثم... ثم جاءت هيلدوغارد.

تركت الصالة وصعدت الى غرفتها، ربما كان أفضل لو لم ينقذها هير رويم... موتها يحلّ مشاكل الجميع بما فيها مشاكلها.

١٠- هل تكرهني؟

يومها لم تشاهد انطوان الا للحظات قصيرة في المسرح. . . بدت مشكلة عمال الكهرباء أكثر تعقيداً مما تصورته، وبدأ العرض بجو ثقيل ومضطرب.

أدركت سيلفي انها لم ترتح الا بعد التكلم معه، فطلبت من المسؤول عن هيئة الاستقبال في الفندق، لانبائها بعودة السيد دي ميريكور.

رن جرس هاتفها في ساعة متأخرة من الليل وسمعت صوتاً يخبرها بوصول المدير الى غرفته. شكرت موظف الفندق وفتحت الباب بهدوء متوجهة بسرعة نحو غرفة زوجها.

قرعت على باب غرفته وسمعت صوته المتعب يقول:

«تفضل».

لم يرفع رأسه على دخولها، كان يدخّن سيكارة مقطباً جبينه، لكنها عرفت أنها بعيدة عن أفكاره. . . فاضراب عمال الكهرباء جعله ينسى كل شيء!

«انطوان. . .!».

همست اسمه بنعومة، استدار عندما سمع صوتها وبدت الدهشة على وجهه، فنهض من مقعده بسرعة:

«سيلفي! يجب أن تكوني في فراشك الآن».

«لم أشعر بالنعاس. . .!».

تذكرت الليلة الاولى في شقته الباريسية عندما كان عائداً من الافتتاحية ونزلت الى قاعة الجلوس للتحدث معه. . . ثم أضافت:

«كنت انتظرك. . . هل حلّيت قضية الكهرباء؟».

«وصلنا الى اتفاق بعد مناقشات طويلة. . . هنالك مشكلة أخرى تتعلق بك يا عزيزتي، لكن الساعة متأخرة للمعاتبة الآن. سنترك الأمر الى الغد».

«لا. أرغب التكلم معك الآن، تذكرني بأول ليلة في جزيرة سان لويس عندما فارقني النعاس».

«ما زلت تتذكرينها؟ كنت ليلتها تبدين مثل تلميذة مدرسة صغيرة وحتى الآن لم تتغيري كثيراً بالرغم من كل تنقلاتك».

«يجب أن أتغير بنظرك؟ تأتي الخبرة من الحياة يا انطوان لا من التنقل من فندق الى آخر. . .».

جلست على مسافة قصيرة منه ورأته مستغرقاً بأفكاره من جديد، انه لا يفكر بالاضراب حتى الآن؟ تملكها الحزن وهي تفكر بوضعها معه، هل كانت حقاً تحسن التصرف في ابعاده عن هيلدوغارد؟ وهي دائماً تشفق على ايفون. . . فالطفلة بحاجة الى أهل وبيت حقيقي، هنالك سعادة ثلاثة أشخاص مقابل سعادتها وحدها، ثم لديها الرقص للنسيان، ولو أنها تعرف يقيناً ان لا شيء في الدنيا يمكن ان ينسيها حبها له.

«انطوان. . . اخبرني عن ايفون».

أفاق من شروده ونظر اليها بدهشة.

«ايفون! ماذا تريدين أن تعرفي عنها؟ تعتقدينها ابنتي أليس كذلك؟».

«هذا ما فهمته. . . السيدة فون اكبورغ والدتها؟».

«نعم».

عادت وألحت مجدداً:

«اخبرني كيف جرت الأحداث».

«انها قصة طويلة يا سيلفي هل تريدين حقاً الاستماع اليها؟».

«أرجوك. . .».

«اني وعدت هيلدوغارد بكتمان السر، لكن الآن توفي كارل ولم يعد الأمر ضرورياً ثم اني متأكد انك لن تبوحي بالسر لأحد».

«بالطبع».

«كان الفون اكبورغ من أصدقاء والدي بالرغم من خصوماتها أثناء

الحرب، لكن مثل معظم النمساويين كان كارل يكره النازية. تزوج من هيلدوغارد وهو يكبرها بسنوات عديدة، وكان زواجهما خطأ منذ البداية... مسكينة هيلدوغارد...».

قال هذه الكلمات الأخيرة بصوت ناعم وأحست سيلفي بتسارع خفقان قلبها ثم سمعته يستطرد:

«سكنت معهما بعد وفاة والدتي، وكنت شديد الحزن على فقدانها، فكرت حتى بالانتحار، ولم انس ما فعلته هيلدوغارد للتخفيف من آلامي، اعادتني الى الحياة والصواب، اني أخبرك ذلك لكي تفهمي أني مدين بما فيه الكفاية لهذه الامرأة، وعندما طلبت مني المساعدة فيما بعد، كنت سعيداً لاستجابة طلبها... لا تكوني قاسية بحكمك عليها يا سيلفي، كانت صغيرة في السن ولم يكن كارل لطيفاً معها. لم يرزقه الله أولاداً... فوضع كل اللوم على هيلدوغارد، كانت حياتها جحيماً».

«اني متأكدة من ذلك.. لكن... لكنها عوّضت على ذلك».

«وهل تلوميها اذا أرادت ان تحب وتعرف الحب؟ توسلت اليّ للاعتناء بالطفلة، والا كانت ستضعها في ميتم، فلم أستطع أن أرفض لها طلبها، سلّمت ايفون لماري، بالرغم من أني كنت أخشى العواقب وألسنة الناس... ألست على حق؟».

«لا يا انطوان فعلت طيباً بالاحتفاظ بالطفلة».

«ستتحسن أمورها الآن وتجتمع بوالديها، ثم القصر في النمسا مليء بالكلاب».

«تجتمع بوالديها؟ تبدو واثقاً من ذلك».

«اني آمل ذلك... لكن ما زال هنالك عائق واحد».

«وهذا العائق أنا...» شبكت يديها متسائلة اذا كانت حقاً تستطيع التخلي عنه من أجل هيلدوغارد وايفون... لو توفي كارل من سنتين لكان تزوج البارونة وأراحها... فهو بالتأكيد يندم على ذلك اليوم في مانتون... ثم تذكرت المحامي الذي التقت به عند العصر.

«هل تعرف هير رويم؟».

نظر اليها بعينين مذهولتين قائلاً:

«رويم؟ آلبريشت رويم؟ هل هو في مونتي كارلو؟».

«التقيت به عند العصر ويبدو أن البارونة في انتظاره».

نهض من مقعده وأخذ يتمشى في الغرفة، وكان الانشراح ظاهراً على وجهه، تجلّد قلبها على ابتهاجه، لديه اذن ثقة كبيرة بالمحامي؟

«كنت اعرف أن هيلدوغارد في انتظاره، لكني شككت في مجيئه، فأنا لا أحترمه كثيراً، بالرغم من وعوده لها ووفائه، لم يفعل شيئاً لمساعدتها، كان حريصاً على سمعة عائلته والفضيحة تسيء بهيته، لهذا السبب أخذت الطفلة، بالطبع انه يعرف أن ابنته تلاقي معاملة جيدة عندي».

«ماذا تقصد يا انطوان؟ من هو هذا الشخص؟».

عادت اشراقة الأمل تنير وجهها وهي تنطق هذه الكلمات، توقف فجأة ناظراً اليها بدهشة:

«لماذا؟ انه حبيب هيلدوغارد، والد ايفون بالطبع، الآن سيتمكنان من الزواج».

«يا الهي...».

بدأت تضحك، من شدة ابتهاجها ثم أضافت:

«ظننتك الأب ولذلك كنت ترغب في ارسالي الى توم».

«لم أرغب في ارسالك الى أحد...».

أجابها بعنف ثم أمرها:

«أوقفي هذا الضحك، لا أرى ما يضحك في الأمر».

«بالطبع لا تستطيع فهم الأمر يا انطوان، اني قطعت علاقتي مع توم منذ زمن طويل، أنا لا أبالي به ولا أحبه، ما أحببته يوماً في حياتي وهو بالتأكيد متزوج الآن».

امسك بكتفيها بقبضة قوية وأرغمها على مغادرة مقعدها، ثم صوّب عينيه الى وجهها:

«اذن في تلك الليلة كل ما قلته كان كذباً؟ قلبك المحطّم وحبك له... كان كله تمثيلاً يا سيلفي؟ كيف تجرؤين على الكذب عليّ؟».

نطق هذه الكلمات وهو يهز كتفيها بعنف...

«بالطبع أجرؤ، لم أخف منك يا انطوان... بالرغم من استبدادك».

تركها فجأة مبتعداً عنها والدهشة في عينيه:

«هل حقاً أنا رجل مستبد يا سيلفي؟».

ساد بينهما صمت متوتر، سددت اليه نظرة جانبية، فهي لم تقصد جرح شعوره، ورأت في عينيه بريقاً غريباً:

«اذن لم تكوني واقعة في حب توم، ما الذي دفعك الى هذا التصرف؟ هل هنالك شخص آخر؟ استنتجت مع والدك انك تنوين بسبب الحب واذا رغبت حقاً في استرجاع حريتك، سأعيدها اليك وأعطيك ما يكفيك من المال».

«أرجوك يا انطوان. . . ».

قاطعته ضاحكة وباكية في الوقت نفسه:

«لا استطيع ان آخذ شيئاً منك».

«لكنك تستحقين هذا المال، انه ثمرة تعبك. . . وأكون مسروراً للمساهمة في سعادتك».

فكّرت أن هنالك سبباً واحداً يفسّر تغيّر انطوان الى هذا الحد، السبب الذي غيّرها هي بالذات، لكنها لم تجرؤ على الأمل.

«اذن أنت مستعد لاطلاق سراحي لكي أكون سعيدة؟».

«نعم يا سيلفي، اذا كانت هذه رغبتك حقاً. . . اني مستعد للتعويض عن ظلم الماضي، قولي لي فقط ماذا تريدين؟».

«انك جاد حقاً؟».

«نعم، أفعل كل ما بوسعي لمساعدتك».

«اني أطلب الكثير يا انطوان. . . أولا اريد أن تأخذني الى بوليو وتقدّم لي غداء آخر في ذلك الفندق الضخم، ثم أن تقودني الى منطقة التوربي، الى آثار اغسطس قيصر، كما فعلت يوم زواجنا. لكن الآن أريد ان يتمم هذا النهار بليلة زفاف حقيقية».

لعبت كل أوراقها، وبدأ القلق يتآكلها أمام صمته، ثم سمعته يهمس:

«اني أحلم. . . ».

اقترب منها وعانقها لكن هذه المرة لم ترغب بالابتعاد عنه، ولم تصح من نشوتها الا بعد وقت طويل.

«أنت الشخص الذي كنت أذوب في حبه يا انطوان. . . ».

«سيلفي. . . منذ تلك الليلة أشعلت نار الحب في قلبي. . . لكني خشيت ان تهربي ثانية. . . ».

ثم خبأ وجهه في شعرها وهمس في أذنها:

«اعتقدتك تكرهينني. . . ».

ضحكت سيلفي وأمسكت برأسه بحنان:

«لكنك لم تؤمن بالحب يا انطوان!».

«لم أرغب بالوقوع في حبك يا سيلفي، أردت الاحتفاظ بك من أجل رقصك فقط، لكنك تسللت الى قلبي بطرقك الاستفزازية وعنادك. . . ».

ضحك وأضاف: «في بعض الأحيان كنت أهم لأضربك من كل قلبي».

«لكن هذا التصرف المتوحش لا يليق بمقام دوق كبير، أعتقد أن أجدادك كانوا يتركون مهمة العقاب الى الجلادين».

«نسيت أجدادي يا سيلفي، اني فرنسي وحبيبك. . . ».

ثم نظر الى باب الغرفة:

«هل يجب علينا البقاء في غرف مستقلة؟ تريدين حقاً الانتظار الى الغد؟».

سمعت سيلفي كلباً يئن ممزقاً سكون الليل و. . . ضميرها:

«ستذهب الى غرفتي يا حبيبي».

«لماذا؟».

«لأن طوني ينبح طوال الليل اذا لم أعد اليه».

«حقاً هذا الكلب يحتل مكاني!».

«لا يا انطوان سيبقى في الغرفة المجاورة، كان طوني صديقي الوحيد في غيابك».

«اني مدين له بذلك. . . لكنك لست بحاجة الى صديق من الآن فصاعداً، سأكون دائماً بقربك يا حبيبتي».

في تلك الليلة، نام طوني خارج الغرفة الى جانب الباب. . . لكنه لم يئن، أوحى اليه حدسه ان الأشياء عادت الى طبيعتها بين سيديه.